جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بإيتاي البارود

شرح شواهد المجاز الشعرية
في أساس البلاغة
للزمخشري-حرفُ الهمزة

إعداد الدكتور

تامر محمد أحمد حجازي

مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية
بإيتاي البارود

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الخلقِ وإمام المرسلين، سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين..... وبعدُ،،،،،

فلا شك أن كتاب «أساس البلاغة» للإمام جار الله الزمخشري من أنفس كتب اللغة، وأعلاها قدرًا، وأرفعها شأنًا، حيث يحوي بين طياته من ذخائر كلام العرب، وجواهر لغتهم ما يُعَدُّ أساسًا لنهضة هذه اللغة، وبقائها على مر الزمان.

وقد عُني فيه مُؤَلِّفهُ (رحمه الله) بجانب المجاز في اللغة، فبعد أن يورد المعاني الحقيقية للمادة، مدعِّمًا كلامه بتعبيرات العرب وأساليبهم المختلفة فإنه يذكر المعاني المجازية للمادة بقوله: ومن المجاز. كذا وكذا..

ولذلك كان لكتابه من اسمه نصيبٌ، فهو بحقٍ أساسُ البلاغة وعُمدةُ البيانِ.

وقد لفت نظري أن الإمام الزمخشريَّ – (رحمه الله) تعالى – حين يتعرَّضُ لذكر المجاز، فإنه يستشهِدُ بكثير من الشواهد الشعرية لفحول الشعراءِ ليجمع بين الجانب النظري والجانب التطبيقي، ولاشك أن هذه الشواهد الشعرية، شأنُها شأنُ غيرها من شواهد هذا السفر العظيم – شواهدُ مختارةٌ – كما قال الإمامُ مما «وقع في عباراتِ المبدعين، وانطوى تحت استعمالات المفلقين». (١)

---

(١) أساس البلاغة لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: الجزء الأول – مقدمة المؤلف ص: د – الهيئة العامة لقصور الثقافة – سلسلة الذخائر «٩٥» إصدار مايو ٢٠٠٣ تقديم أ.د/ محمود فهمي حجازي، وهي النسخة التي سأعتمد عليها في تناولي لهذا البحث.

ومما لاشك فيه أن الثمرة الحقيقية للعلم تتمثلُ في نشرِهِ وتداوله والانتفاع به، ولما كانت هذه الشَواهِدُ الشعرية التي استشهد بها الإمامُ الزمخشريُّ على المجاز – لما كانت بتلك المنزلة من الإبداع وحُسن الاختيار، مع صعوبة الوصول إلى لُبِّ المجاز في الشاهد الشعري في كثير من الأحيان، لاسيما وأنها لمجموعة من الشعراء الفحول المفلقين، ومختارةٌ بعقل عالم كالإمام الزمخشري، لذا كان من الطَبَعِيّ أن تظل مطمورة في ثنايا هذا السفر العظيم، يصعبُ على كثيرٍ من الدارسين تناولها أو الاستشهاد بها.

ومن ثم رأيتُ أن أتناول هذا البحث «شرح شواهد المجاز الشعرية في أساس البلاغة – حرف الهمزة» داعيًا زملائي المتخصصين في مجال البلاغة إلى أن يتناولوا هذا العمل بالتنسيق معي حسب ترتيب حروف المعجم ليخرج بذلك كل حرف أو أكثر في بحثٍ مستقل، ومن ثم يتكامل هذا العملُ العلمي ليخرج لنا موسوعة علمية كبيرة تتناول شواهد المجاز الشعرية لدى الإمام الزمخشري في معجمه كله بالشرح والتحليل وتحديد نوع المجاز، وبيان الحقيقة من المجاز أو الكناية وغير ذلك انطلاقًا من معاجم اللغة الكبرى والضوابط البلاغية التي استقرت لدى البلاغيين فيما بعدُ.

وهذه بدايةٌ أرجو من الله العلي العظيم أن تكون موفَّقة مع عقدي النية والعزم على أن أكمل هذا العمل بتوفيق الله (ﷻ) ومعاونة إخواني وزملائي، وإن كان يحتاج إلى صبرٍ ودقةٍ وإتقان، لتخرج بذلك هذه الموسوعة الكبرى، نستشهد بها في دراساتنا ويفيد منها طلاب العلم، وننطلق من تقييد النظرية التي لا تتواكبُ مع طبيعة علم البلاغة – إلى آفاق التطبيق في ميدان المجاز على كنوزٍ عظيمة ودررٍ نفيسة اختيرت بدقة وعناية من عقلٍ عالمٍ باللغة فقيه بالبيان.

وبدارسة ما ذكر الإمام الزمخشري أنه من المجاز تجدُ بعضه استعارة تصريحية أو مكنية أو تمثيلية، وبعضه الآخر مجازًا عقليًا، والبعض الثالث كناية، والبعض الرابع حقيقة.

ومن ثَمَّ جاء هذا البحث في مقدمةٍ وأربعة فصولٍ وخاتمة.

- ذكرتُ في المقدمة أهمية البحث وخطة الباحث.

* ثم جاء **الفصل الأول** بعنوان: شواهدُ الاستعارة وفيه ثلاثةُ مباحث:

- **المبحث الأول**: الاستعارة التصريحية.
- **المبحث الثاني**: الاستعارة المكنية.
- **المبحث الثالث**: الاستعارة التمثيلية.

* **الفصل الثاني**: شواهد المجاز العقلي.

* **الفصل الثالث**: شواهدُ الكناية «ما ذكر الإمامُ أنه من المجاز وهو من الكناية».

* **الفصل الرابع**: شواهد الحقيقة «ما ذكر أنه من المجاز وهو من الحقيقة».

ثم ذَكرتُ في الخاتمة أهمَّ النتائج والتوصيات التي أسفر عنها البحثُ.

ثم ذَيلتُ البحث بفهرسٍ للشواهدِ الشعرية، وآخر للمصادر، وثالث للموضوعات.

ولا يعني كونُ بعض شواهد المجاز الشعرية لدى الإمام، - لا يعني كونُها من الحقيقة أو الكناية – كما سأبينُ في هذا البحث – لا يعني ذلك تخطئة الإمام (رحمه الله) وإنما مرد ذلك لتطور اللغة أو لأن المصطلحات البلاغية لم تكن قد استقرت بعدُ – كما سيتضح من خلال الدراسة.

وبعدُ،،،،

فهذا عملٌ متواضع أردتُ أن أجتنب فيه المنهج التقليديَّ في البحوث البلاغية، وتناولت فيه أربعين شاهدًا شعريًا من خلال حرف الهمزة بتحليل المجاز وتحديد نوعه وفرقٌ بين أن تكون ثروةٌ شعريةٌ كهذه مطمورةً في آكامها بعيدًا عن متناول الدارسين، وبين أن تكون مشروحة سهلة المأخذ قريبة التناول واضحة المعالم.

ورجائي من الله العلي القدير أن يتقبل هذا العمل – على قدر جهدي وإخلاصي فيه – وأن يجعله نافعًا لكل من يقرأه، وأن ينفعنا به في دنيانا وآخرتنا فهو حسبُنا ونعم الوكيل، والله من وراءِ القصد.

دكتور

تامر محمد حجازي

مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية

بإيتاي البارود

٧ من ربيع الآخر ١٤٣٣ هـ

٢٩ فبراير ٢٠١٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

خطة البحث

يتكون البحث من أربعة فصول:-

* **الفصل الأول: شواهد الاستعارة.**

وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول**: الاستعارة التصريحية.
- **المبحث الثاني**: الاستعارة المكنية.
- **المبحث الثالث**: الاستعارة التمثيلية.

* **الفصل الثاني**: شواهد المجاز العقلي.

* **الفصل الثالث**: شواهد الكناية.

«ما ذكر الإمام أنه من المجاز وهو من الكناية»

* **الفصل الرابع**: شواهد الحقيقة.

«ما ذكر الإمام أنه من المجاز وهو من الحقيقة»

الفصل الأول
شواهِدُ الاستعارة

الاستعارة هي: الكلمةُ المستعملةُ في غير ما وضعت لهُ لعلاقةِ المشابهة مع قرينةِ مانعة من إرادة المعنى الحقيقي. (١)

وقد بدأتُ بحثي هذا بذكر شواهد الاستعارة، لأنها تُعَدُّ عمودَ المجاز.

وقد وقع للإمام الزمخشري في شواهد المجاز الشعرية في معجمه أساس البلاغة – حرف الهمزة موضوع الدراسة – وقع له ثمانية عشر شاهدًا من قبيل الاستعارة، منها استعاراتٌ تصريحية، وأخرى مكنية، وثالثة تمثيلية جمعت كلاً منها تحت هذا الفصل «شواهد الاستعارة».

ولذا تناولت هذه الشواهد من خلال ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاستعارة التصريحية.

وهي التي صُرِّح فيها بلفظ المُشَبَهُ به «المستعار منه» (٢)

وقد وقع للإمام الزمخشري في حرف الهمزة من شواهد المجاز الشعرية عشرُ استعاراتٍ تصريحية.

وهي كما يلي:-

---

(١) مباحث في طرق علم البيان أ.د/ رفعت إسماعيل السوداني: ٢٩٥ – اللوتس للطباعة ٢٠٠٦ م ١٤٢٧ هـ.

(٢) السابق: ٣٠٤.

الفصل الأول
«شواهِدُ الاستعارة»

- المبحث الأول: الاستعارة التصريحية.

* الشاهدُ الأول: قولُ عديٍّ بن الرقاع:

تُزجي أَغَنَّ كأنَّ إبرةَ روْقه ... قلمٌ أصاب من الدواةِ مِدَادَها [1]

وموطن الشاهد البلاغي عند الإمام في قول الشاعر: «إبرة رَوقه»؛ حيث استعمل إبرة القرنِ مجازًا عن طرفه.

وقد ذكر الإمام الزمخشريُّ هذا البيت في مادة «أبَرَ» مبينًا المعنى الأصليَّ للإبرةِ أولاً وذلك في قوله: «شاةٌ مأبورة: أكلتِ الإبرةَ في علفها.... الخ» [2] والمقصودُ هنا بالإبرةِ: مسلةُ الحديد.

ومن المعاني الأصلية الحقيقية للإبرة كذلك: إبرة الذراع: مُستدقُّها، والإبرةُ: عُظيمٌ مستوٍ مع طرف الزَّندِ من الذراع إلى طرف الإصبع وقيل: الإبرةُ من الإنسانِ: طرفُ الذراع..... [3] هكذا ورد المعنى الحقيقي في أساس البلاغة ولسان العرب. وبعد أن ذكر

---

(١) أساس البلاغة للإمام الزمخشري ١/ ١ مادة «أ ب ر»

ومعنى تُزجى: تسوق بلين ورفق، والأَغَنُّ من الغزلانِ وغيرها: الذي في صوته غُنَّةٌ، وإبرةُ الروقِ: طرفُ القرنِ [لسان العرب لابن منظور ط دار الحديث القاهرة ٢٠٠٣م] والمعنى أن الشاعر يصف ظبية تسوق ولدها برفق ولين ويشبه طرف قرنِ هذا الظبي الصغير الذي بدا أسودًا في أول بزوغه بالقلم الذي وضع في المحبرة فأصاب منها مدادها.

(٢) أساس البلاغة: ١/ ١.

(٣) اللسان: أبر.

الإمامُ الزمخشرِيُّ المعنى الحقيقيَّ ذكر المعنى المجازيَّ فقال: ومن المجاز: إبرةُ القرنِ لطرفه وذكر البيت. (١)

وعلى هذا ففي البيت استعارةٌ تصريحية أصلية، حيثُ شبه عديُّ بنُ الرقاع طرف قرنِ هذا الظبي في حدته واستوائه وصلابته بالإبرة وهي مسلةُ الحديد أو بإبرةِ الذراع وهو مستدقُّها وطرفُ عظمها، بجامع الدقة والاستواء وكون كل منهما طرفًا ثم استعار الإبرة لطرف القرنِ على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

ووراء الاستعارة بيانٌ لصلابةِ طرف هذا القرن وتدببه في دقةٍ وإحكام.

واستعارة الإبرةِ لطرف القرن هنا تخدم التشبيه، إذ هو مبنيٌ على الدقةِ والإحكامِ في اختيار المشبه به وهو «قلمٌ أصاب من الدواة مدادها» هكذا بهذا التدقيق والتحديد، ومن ثم تناسب طرفا التشبيه وأُبرِزا في صورةٍ محكمة غاية في الدقة، ومرجع المزية هنا إنما هو في استعارة الإبرة لطرف القرن مما جعل المشبه محددًا للغاية، ومن ثم أورد المشبه به في هذه الصورة الدقيقة المحكمة فتعادل الطرفان أو كادا يتقاربان في وجه الشبه وهو الدقة والتدبب والصلابة والاستواء.

ولذلك استحالت رحمةُ جرير لِعدِيٍّ حسدًا حين سمع بقية البيت وذلك حين سمعه جرير ينشد تلك القصيدة فلما أتى إلى قوله: تُزجي أَغَنَّ كأنَّ إبرةَ روْقه قال جرير: رحمتُه وقلت قد وقع ما عساهُ يقول وهو أعرابيٌّ جلفٌ جاف فلما قال: قلمٌ أصاب من الدواة مدادها، استحالتِ الرحمةُ حسدًا. (٢)

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ١.

(٢) مفتاح العلوم للسكاكي: ١٨٩ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط ثانية ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

ورحمةُ جرير هنا هي الخوفُ والإشفاقُ على عديٍّ من أن تزلَّ قدمُه في إصابة التشبيه وما ذلك إلا لدقة الاستعارة وتحديدها.

*** الشاهدان: الثاني والثالث: ما أنشدهُ اليزيديُّ:**

نكحتُ مُثفَّاة شهيرًا جَمالُها ... وَأعلمُ أنَّ الموتَ لابُدَّ واقِعُ

وكُنتُ مُثَفًّى ليتَ شِعري من الذي ... هو اليوم مفجوعُ ومن هو فاجِعُ[1]

وموطنُ الشاهد: مُثفَّاة.. ومُثفًّى..

قال الإمام الزمخشريُّ: ومن المجاز: تَأَثَّفُوهُ: اجتمعوا حوله... ورجُلٌ مُثفًّى: ماتت لهُ ثلاثُ أزواج، وامرأةٌ مُثفَّاةٌ: وذكر البيتين.[2]

وأصلُ الأُثفية والإِثفية: الحجرُ الذي تُوضعُ عليه القِدْرُ وجمعُها: أثافيُّ وأثافٍ وهي حجارةٌ ثلاثة تُنصبُ وتوضعُ عليها القِدْرُ، وقولُهم: رماهُ اللهُ بثالثة الأثافِيّ؛ أي رماهُ اللهُ بالجبل، أي بداهية مثل الجبل، والمعنى أنهم إذا لم يجِدوا ثالثة من الأثافِيِّ أسندوا قدورهم إلى الجبل.[3]

هذا هو المعنى الحقيقي الأصلي للفظ التثفية: وبيان الاستعارة: أنهُ شُبِّهت الأزواجُ

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ٥ مادة «أ ث ف» والمُثفَّاة: المرأةُ التي مات لها ثلاثةُ أزواج، والمُثفَّى: الرجل الذي مات له ثلاثُ نسوة. [اللسان: ثفا] والمعنى: أن الشاعر تزوج امرأةً توفى عنها أزواجٌ ثلاثة، تعاقبوا على نكاحها وماتوا، فكأنها صارت يُتشاءمُ منها رغم شهرتها بالجمال، ولكن الشاعر لا يعبأُ لذلك فالموت واقعٌ لا محالة، ثم بين انه تعاقب هو الآخر على نسوة ثلاثٍ مات جميعُهنَّ، فياليت شعري من سيُفجعُ منا بموت الآخرِ أولاً؟!.

(٢) أساس البلاغة: ١/ ٥.

(٣) اللسان: ثفا.

الثلاثة الذين تعاقبوا على امرأة واحدةٍ ثم ماتوا جميعًا فصارت المرأةُ «مُثفَّاة» شُبِّهوا في اجتماعهم على المرأة وتعاقبهم عليها – بأثافِيِّ القدر، وهي حجارةُ الموقد، وشُبِّهت الزوجاتُ الثلاث اللاتي اجتمع بهن رجُلٌ واحد ومِتن جميعًا بأثافي القدر كذلك فصار الرجُل «مُثفىً».

ثم استُعير في النفس لفظُ التثفية لهم أو لهُنَّ، لكونهم ثلاثة كأثافيِّ القِدر، ثم اُشتقَّ من التثفية بهذا المعنى – وهو اجتماع المرأةِ برجالٍ ثلاث ماتوا عنها – «مُثفَّاة» واجتماعُ الرجل بنسوةٍ ثلاثٍ مِتن عنه – «مُثفًّي» اسمًا مفعول لمؤنث ومذكر من ثفَّى يُثَفِّى فهو مُثَفِّى ومُثَفًّى وهي مُثَفَّاةٌ. بهذا المعنى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في اسم المفعول.

وانظر إلى دقة اللغة في استعارة اسم المفعول: «مُثفًّى، ومُثفَّاة» للمفجوع في ثلاثةِ من نسائه أو للمرأةِ التي تعاقب عليها ثلاثةُ أزواج وماتوا عنها، وما يوحي به من قدرية الموت وتسلطه وقهره لهذا المفجوع أو لتلك الثكلى الأرملة وإيجازُ ذلك كله في وَصفٍ واحدٍ.

ومادةُ هذا الاشتقاق من «ثفا»، وقد ذكر ابنُ منظور أنَّ هناك اشتقاقًا آخر وهو المؤثَّفةُ من «أثف» قال: ومَرَةٌ مُؤثَّفةٌ لزوجها امرأتانِ سواها، وهي ثالثتهما، شُبِّهت بأثافِيِّ القدر ومنه قول المخزومية: إنِّي أنا المُؤثَّفةُ المكثفَّةُ. (١)

فالاستعارةُ هُنا وإن كانت تصريحية تبعية في اسم المفعول من أثف، إلا أنَّ معناها مختلفٌ عن سابقتها، فالمؤثَّفةُ هُنا هي المرأة الثالثةُ لزوجها إذا كان معه اثنتان غيرها، فكأنها ثالثةُ الأثافي.

---

(١) اللسان: أثف.

وكأنها تُشيرُ بتلك الاستعارة إلى أنها هي التي عليها المُعَوَّل في صلاحية الحياة وديمومتها، وأنَّ المرأتين قبلها لا تستقيمُ بهما الحياة، ولم يَسُدَّا عِوَزَ الرَجُلِ ونهمَه إلى المرأة.

*** الشاهِدُ الرابع:**

قال الإمامُ الزمخشري: «في مادة: أدى»:

ومِن المجاز: قولُ الراعي:

غدتْ برعالٍ من قطا في حلوقه ... أَدَاويَ لِطافُ الطيِّ مُوثقةُ العقدِ

أراد الحواصل [1]

فقد شبه الشاعرُ حواصل القطا وهي تحملُ فيها الماءَ والطعام لفراخها بالأداوي، جمعُ إداوة وهي وِعاءُ الماء ثم استعار المشبه به للمشبه والجامع هو الدقة والسعة والإحكام في كُلٍّ، أي في حُلوق هذه القطا حواصلُ كالأداوي «لطافُ الطيِّ موثقةُ العقدْ» أي مشدودةٌ محُكمَةٌ لا خلل فيها، وهي استعارةٌ تصريحيةٌ أصليةٌ.

*** الشاهِدُ الخامس: قال الطِّرِمَّاح:**

تَوهَّن فيه المضرحِيَّةُ بعدمَا ... مضَت فيه أُذْنا بلقعيٍّ وعاملِ [2]

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ٨ مادة «أدى» والبيت في ديوان الراعي النُميري: ٧٥ من قصيدة بعنوان: تذكر هذا القلبُ هندَ بني سعدِ «من الطويل» جمعه وحققه: راينهرت فايبرت بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ ورعالُ القطا: مجموعات الطير، والأداوي هي حواصِلُها تشبيهًا لها بإداوة الماء.

(٢) أساس البلاغة: ١/ ٨ مادة «أذن» والبيت في ديوان الطرِّمَّاح: ٢٠٦ تحقيق د/ عزة حسن دار الشرق العربي – بيروت – لبنان – ط ثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

ومعنى: توهَّن: أي ثقُلت عن النهوض لامتلاءِ أجوافها مما أكلتْ من هذا القتيل، والمضرحيةُ: النسور، والبلقعِيُّ من السهام أو السنان: الصافي النصلَ، والعامل: صدرُ الرمح الذي يلي السنان، وأُذُنا البلقعي: أي جانبا السنان. انظر: المعجم الكبير: بلقع إصدار مجمع اللغة العربية – مطبعة دار الكتاب ١٩٧٠ م.

والشاهدُ فيه قوله: «أُذْنا بلقعي» حيث ذكر الإمامُ أنَّ من المجازِ:

قولهم: مَضَتْ فيه أُذُنا السهمِ واستشهد بقول الطِّرِمَّاح.

والأصلُ في الأُذُن: حاسةُ السمعِ المعروفة وهي أنثى.. وأُذُنُ القلب والسهم والنصل كله على التشبيه(١)

ففي هذا البيت يتحدثُ الشاعرْ عن قتيل أرداهُ بسيفهِ ويصوِّرُ حالَهُ بعدما فتكت به الصقورُ والنسورُ بعد أن عمِل فيه سيفُهُ عملهُ، وأُنفِذتْ فيه أُذُنا سهمه اللامع ذي النصل الصافي.

فقد شبه جانبي السهم أو السنانِ بالأُذُن الحقيقية ثم استعار المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

وناهيك عن سهم يخترقُ الجسد ويمزقه حتى تصل أُذُناهُ إلى أغوار البدن، مما ينبئُ عن قوة الدفع وشدة الرمي، ووراءَها إيحاءٌ بأنها تتحسَّسُ الهدف حتى تصيبه.

*** الشاهِدُ السادس: قولُ ساعِدة:**

ومُقامِهِنَّ إذا حُبِسْنَ بِمَأْزِمٍ ... ضَيْق أَلفَّ وصَدَّهُنَّ الأَخْشَبُ (٢)

وموطنُ الشاهد: قولُهُ: بِمأَزِمٍ أي بمضيق.

---

(١) اللسان: أذن.

(٢) أساس البلاغة: ١/ ١١ مادة «أزم».

قال في اللسان بعد أن ذكر البيت: قال ابنُ بري: وصوابُ إنشاده: ومُقامِهِنَّ بالخفض على القسم؛ لأنه أقسم بالبُدْنِ التي حُبِسْنَ بِمأَزِمٍ أي: بمضيقٍ، وألفَّ: مُلتف، والأخشبُ: جبلٌ. «انظر: اللسان: أزم».

والمعنى: أن الشاعر يقسم بمقام تلك الإبل التي حُبِسَتْ بهذا المضيق أو الطريق الضيق بين الجبلين وهو طريقٌ ملتفٌ وقد صَدَّهُنَّ جبلُ الأخشب.

وقد جعل الإمامُ الزمخشريُّ من المجاز قولهم: «والتقينا في مأْزِمِ الطريق أي في مضِيقِه». (١)

وأصلُ الأزمِ: العضُّ بالأنياب، قال الإمامُ الزمخشريُّ:

«أَزَم الفرسُ على فأسِ اللجامِ ... عضَّ عليه وأمسكهُ»

وورد هذا المعنى في لسانِ العرب فقال: «الأزمُ: شدةُ العضِّ بالفم كله، وقيل: بالأنياب، وقيل: هو أن يعضَّهُ ثم يكرِّر عليه ولا يرسله... والأزمةُ: الشدة.. والمأزمُ: المضيقُ.. وكُلُّ طريقٍ ضيق بين جبلين.. والميمُ زائدة، وكأنهُ من الأَزمِ: الشدةُ والقوة» (٢)

ومن خلال ما سبق يتبينُ أنَّ الأصلَ في الأزمِ: العضُّ بالأنياب أو الشدة والقوة فاستعير لضيق المكان، أو للطريق الضيق بين جبلين والجامع هو التضييقُ والتعَسُفُ والألمُ والتعب والمعاناة في كل منهما استعير الأزمُ لهذا المعنى في النفس، ثم اشتق منه بهذا المعنى: مَأزِمَ على وزن «مفعِل» اسم مكان من أزم، بمعنى مضيق، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في اسم المكان وهو من المشتقات.

ووراءَها إشعارٌ بإحكام الحبس والتضييق على تلكَ الإبل، حتى لا تشرُد أو تفرَّ وقد ساعد على هذا التضييق والحجر ذكرُ الحبسِ قبل المأزم ووصفُه بعده بالضيق والالتفاف، وجعلُ الجبلِ حاجزًا مانعًا لهُنَّ عن الهروب.

*** الشاهدُ السابع: قال أبو النجم:**

*** مُسْتَأسِدٌ ذِبَّانُهُ في غيْطل *** (٣)

---

(١)، (٤) أساس البلاغة: ١/ ١١

(٢) لسان العرب: أزم

(٣) أساس البلاغة: ١/ ١٢ مادة: «أ س د»، والبيت في ديوان أبي النجم: ٢١ جمعة وشرحه وحققه الدكتور/ سجيع جبيلي دار صادر بيروت ط أولى ١٩٩٨ م واستأسد النبتُ: طال وعظُمَ،=

قال الإمامُ الزمخشريُّ في مادة «أ س د»:

في أرضِ بني فلانٍ مأسَدةٌ، وأكثرُ المآسِدِ في بلادِ اليمن..... ومن المجاز: استأسد عليه: أي صار كالأسد في جُرْأته، واستأسَد النبتُ: طال وجُنَّ وذهب كُلَّ مذهب. (١)

فقد شبَّه الشاعِرُ طول النبت طولاً مُفرِطًا وتناهيه في العِظم وبلوغه الغاية في الالتفاف والقوة والذهاب هنا وهناك بين ثنايا الغيل – بالاستئساد وهو الجرأة والتطاولُ على الغير، ثم استعير في النفسِ الاستئسادُ لهذا المعنى، واشتق منه مُستأسد بمعنى مفرط في القوة والطول على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في اسم الفاعل.

ويتبدى جمالُ الاستعارة هنا في نقل اللفظ من ميدان الحيوان إلى ميدان النبات، وإبرازه لصورة هذا النبات في تطاوله والتفافه على غيره في صورة أسدٍ في جراءته وتعديه على من سواه.

*** الشاهِدُ الثامن: قولُ المُمَزَّق:**

فَإِنْ كُنْتُ مأكُولًا فَكُنْ خيرَ آكل ... وإلَّا فأدرِكني ولَمَّا أُمَزَّقِ (٢)

وموطنُ الشاهد قولُه: مأكولًا وآكل.

=والغيطلُ: الشجرُ الكثيفُ الملتف «انظر: اللسان: أسد» والمعنى انه يصفُ هذا النبت بالطول المفرط والعظم المتناهي وبلوغ الغاية في الالتفاف والقوة والذهاب هنا وهناك بين ثنايا الغيل حتى صار كالأسدِ في جراءته وتطاوله واجترائه على غيره.

(١) أساس البلاغة: ١/ ١٢

(٢) أساس البلاغة: ١/ ١٧ مادة «أ ك ل».

ولما قال الممزَّق للنعمان هذا البيت قال النعمان: لا آكُلُكَ ولا أُوَكِّلُكَ غيري. «انظر: السابق والصفحة، ولسان العرب: أكل».

فقد جعله الإمامُ الزمخشريُّ مجازًا قال: «ومن المجاز: فلانٌ أَكَّل غنمي وشرَبها، وأكَّل مالي وشرَّبَهُ أي: أطعمهُ الناس... ومأْكول حِمْيَرَ خيرٌ من آكِلِها أي: رَعِيَّتُها خيرٌ من واليها». (١)

فالمأكول هم الرعية، والآكل هو الوالي أو الراعي، ففي التعبير استعارة تصريحية تبعية، حيثُ شبَّه تمكُّن الراعي أو الوالي من رعيَّته بأكل الآكل بجامع الاستحواذ والسيطرة التامة في كلٍ ثم استعار الأكل للتمكن واشتق منه مأكولًا وآكِلًا بهذا المعنى.

ووراءَها إذكاءٌ لروح الكبرياء الملكية حيثُ يتضاءَلُ الشاعِرُ أمام النعمان تضاؤُلًا يصلُ إلى أن يجعل نفسه كالشيء الذي يُؤكل ويُمضَغ، ويجعل النعمان هو الآكل لهذا الشيء يتصرفُ فيه كيف يشاء، ولذا استلَّ العفوَ من النعمان.

*** الشاهدُ التاسع: قول الشاعر:**

وخَلَّقْتُه حتى إذا أتمَّ واستوى ... كمُخَّةِ ساقٍ أو كمتْنِ إمامِ
قرنْتُ بِحَقْويْهِ ثلاثًا فلم يزغْ ... عن القَصدِ حتى بُصِّرتْ بِدِمامِ (٢)

وموطن الشاهد قوله: أو كمتن إمام، فالبيت الثاني ذُكر تتِمَّةً للمعنى.

وأصلُ الأمِّ: القصدُ.. والإمامُ: الذي يُقتدى به.. وإمامُ المثالِ: ما امتُثِل عليه، والإمامُ: الخيطُ الذيُ يَمدُّ على البناء فيُبنى عليه ويُسوَّى عليه سافُ البناء وهو من

(١) أساس البلاغة: ١/ ١٧.

(٢) أساس البلاغة: ١/ ٢٠ مادة: «أ م م» ومتنُ الرمح والسهم: وسطهما. والإمامُ هنا: الخيط الذي يُسوَّى عليه البناءُ. «انظر: اللسان: متن وأمم» والمعنى: أنه صنع هذا السهم حتى أتمَّهُ ودبَّبهُ وسوَّاه وجعله محكمًا مستويًا دقيقًا كساق الرجل أو كخيط البنَّاء، ثم صوَّب نحو حِقوى خصمه ثلاث رمياتٍ فأصابت المرمى ولم تزَغْ عنه حتى سالت دماؤه وتلطّخ بها.

ذلك... [1]

فقد استعمل كلمة «إمام» هنا في غير معناها الحقيقي لعلاقة المشابهة، فمعناها في الأصل: الذي يُمتثلُ عليه ويُقتدى به، فشَبَّه خيط البناء بذلك بجامع الدقة والاستواء والقصد والاحتذاء في كُلٍّ وتحرِّي الامتثال على منواله، ثم استعير لفظُ الإمام لذلك على سبيل الاستعارة التصريحية.

والاستعارةُ توحي بتمام الدقة والاستواءِ، وأنهُ مثالٌ يُحتذى به ويُسوَّي عليه، وما وراء ذلك من إيحاءٍ بتدبُّب هذا السهم ودقته وإحكامه واستوائه وحدته مما يجعله أكثر نفوذًا إلى لُبِّ الهدف.

*** الشاهدُ العاشر: قول الشاعر:**

ظلْنا نخبِطُ الظلْماءَ ظُهرًا ... لديه والمطِيُّ به أُوارُ [2]

موطنُ الشاهد: «أوار» حيث إن الأصل فيه أن يستعمل مع النار فاستعمل هنا للعطش الشديد.

قال الإمامُ الزمخشريُّ في مادة: «أور»:

«لفحني أُوارُ النارِ، وأُوارُ الشمسِ ومَرَرْتُ بتنُّور لَفَحني بأُواره. ومن المجاز: كاد يُغشى عَليه من الأُوار وهو العطش» [3] وذكر البيت.

قال في اللسان: «الأُوارُ: شدةُ حرِّ الشمسِ، ولفحُ النار ووهجُها، والعطش. وقيل:

---

(١) لسان العرب: أمم.

(٢) أساس البلاغة: ١/ ٢٥ مادة: «أور» والمعنى أنهم ظلوا يتخبطون في الصحراء ظهرًا عطشى جائعين حتى أظلمت أبصارهم فكأنهم ظهرًا في ليل مظلم وقد التهبت أجوافُ البعير من شدة العطش.

(٣) أساس البلاغة: ١/ ٢٥

الدخانُ واللهب. ويومٌ ذو أُوار: أي ذو سموم وحرٍّ شديد». (١)

فقد جعل الإمامُ الزمخشريُّ استعمال الأوار في العطش مجازًا، بينما ذكر صاحبُ اللسان أنَّ من معاني الأُوار: العطش، وعلى هذا فالأسلوبُ حقيقيٌّ لا تجوُّز فيه.

وقد يُراعى في مثل هذا تَطوُّر اللغة حيثُ يكونُ اللفظُ مجازًا في عصرٍ ما ثم يتحولُ بكثرةِ الاستعمال إلى حقيقة في نفسِ هذا المعنى المجازي.

فكأنه جعل الأُوارَ في الأصلِ خاصًّا بشدة حرِّ الشمسِ ولفح النار وَوَهجها ثم نقل بَعد ذلك إلى حرِّ العطشِ الشديد بجامعِ الحرارة والشدة في كل منهما واستعبر له على سبيل الاستعارة التصريحية.

وهي توحي بشدة العطش حتى صار جوفُ المطيِّ كالتنُّور من شدة الحر، لاسيَّما وأنهم يمشون في حرِ الظهيرة: «ظُهرًا» وقد قتلهم الجوع حتى أعمى أبصارهم وذهب بنورهم فصاروا في وسط النهار كأنهم في ليلٍ بهيم.

وهذه الأوصافُ توحي بالتهاب الجوف لاسيَّما أجوافُ البعير من شدة العطش وحرارة الظمأ.

وقد يكون لشدة تشابه المعنيين: الحقيقي والمجازي وارتباط الجامع بينهما ارتباطًا وثيقًا، وبتطور اللغة عبر الزمن صار المعنى المجازيُّ لهذا اللفظ: الأُوار بمعنى العطش، حقيقةً فيه مما جَعل ابن منظور يذكر العطش من جملة المعاني الأصلية للأُوار.

---

(١) اللسان: أور.

المبحث الثاني
الاستعارة المكنية

والمقصودُ بها: المستعارُ المحذوفُ المرموزُ إليه بشيءٍ من لوازمه.

ففي قول الشاعر:

وإذا المنيةُ أنشبتْ أظفارها ... أَلْفيتَ كُلَّ تميمةٍ لا تَنفَعُ

قد استعارَ الشاعرُ السبُعَ للمنيةِ ولكنه لم يُصرِّح به، ودلَّ عليه بذكر لازمه وهو الأظفار لينتقل منه إلى المقصود كما هو الشأنُ في الكناية، أن يوصل إلى المعنى المراد عن طريق اللوازم، ولذا سميت هذه الاستعارة استعارة مكنية. (١)

وقد وقع للإمام الزمخشري في شواهده الشعرية للمجاز في معجمه أساس البلاغة حرف الهمزة شاهدان الاستعارة فيهما مكنية، وذلك كما يلي:

*** الشاهد الحادي عشر: قول الشاعر:**

جُذامُ سيوفُ اللهِ في كل موطنٍ ... إذا أَزمتْ يوم اللقاءِ أَزَامِ

وإنْ قصرَّتْ يومًا أَكُفٌّ قبيلةٍ ... عن المجدِ نالتْهُ أَكُفُّ جُذامِ

أي: إذا عضَّتْ كريهةٌ عضوض (٢)

وموطنُ الشاهد قولهُ: أَزَمتْ.. أَزَام.

---

(١) بين المكنية والتبعية والمجاز العقلي عرض وتحليل وموازنة د/ بسيوني عبد الفتاح فيود: ٧ مطبعة الحسين الإسلامية – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٢) أساس البلاغة: ١/ ١١، وجُذامُ: قبيلةٌ من اليمن وهم أكثرُ الناسِ إبلًا «اللسان: جذم» والمعنى: أن قبيلة جُذام هذه اشتهرت بالشجاعة والإقدام وقت معمعة القتال، كما أنها تميزت بعلو الهمة إلى مكارم الأخلاق في الوقت الذي تتقاعسُ فيه همُ القبائل الأخرى عن ذلك.

فهو يصفهم بالجرأة والإقدام وقت اشتداد الأزمات واندلاع الحروب.

وقد بين الإمامُ الزمخشري أنَّ أصل الأزم: العضُّ قال:

«أَزَمَ الفرسُ على فأسِ اللجام: عضَّ عليه وأمسكهُ...» قال:

ومن المجاز: «أَزَمَ الدهرُ علينا، وأَزَمتْنا أزْمَةٌ.. وأصابتْهُم أزمة.. وتتابعت عليهُم الأزماتُ» [1] ثم ذكر الشاهد الشعري.

وبين صاحب اللسان ذلك فقال: الأزمُ شدة العض بالفم كله، وقيل: بالأنياب، وقيل هو أن يعضَّهُ ثم يكرر عليه ولا يرسله، ثم قال: ومنه قيل للسنة أزمة. [2]

ومن خلال ما سبق يتبين أنَّ الأصل في الأزم أن يُستعمل في المعنى الحسيِّ، وهو العضُّ بالأنياب، واستعماله في الجانب المعنوي مجازٌ بالاستعارة المكنية.

ففي قوله: أزمت يوم اللقاءِ أزام: أي عضت كريهةٌ عضوض استعارةٌ مكنية حيثُ شبه الشدة في الحرب بالوحش الكاسر الذي يعضُّ بأنيابه ولا يُرسِلهُا، ثم حذف المشبه به ودلَّ عليه بلازمه وهو الأزمُ أي: العضُّ.

ووراءَها بيانٌ لتمتُّعْ تلك القبيلة بالجرأة والنجدة والإقدام، حيثُ تظهر فروسيتهم في الأزماتِ والشدائدِ وقت المعمعة في ساحة القتال، ساعة أن تكون الحربُ الضَّروسُ مكشرِّةٌ عن أنيابها كالوحشِ الفاتك.

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ١١.

(٢) لسان العرب: أزم.

*** الشاهِدُ الثاني عشر: قال نُصَيْبٌ الأصغر:**

إنَّ العروقَ إذا اسْتَسَرَّ بها الثَّري ... أشِرَ النباتُ بها وطاب المزْرَعُ [1]

وموطنُ الشاهد في قوله: أشِرَ النباتُ

قال الإمامُ الزمخشريُّ: «فلانٌ بطِرٌ أَشِرٌ... ومن المجاز: وصفُ البرقِ بالأَشر إذا تردَّد في لمعانه، ووصفُ النباتِ به إذا مضى في غُلوائه» [2] وذكر الشاهد.

فالأصلُ في الأشرِ أن يكون صفةً للإنسان قال تعالى على لسان قوم ثمود في تكذيبهم لصالح (عليه السلام) ﴿ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ [3] والأَشِرُ هو المرحُ والبطِر [4].

وأَشِرٌ: أي بَطِرٌ متكبِّرٌ حمَلهُ بطرُه وشطارتُه وطلبهُ التعظُّمَ علينا على ادعاءِ ذلك. [5]

واستعمالُ الأَشِر في البرق والنبات وغيره مجازٌ كما ذكر الإمامُ الزمخشري؛ لأنَّ الأصلَ فيه أن يكون صفةً للإنسان.

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ١٣ مادة «أ ش ر».

والمعنى: يصفُ الشاعِرُ النباتَ إذا مضى في جنونه وعِظمه فبين أن عروقَهُ إذا سكنها الندى وغمرها الطلُّ تمادى النباتُ في تطاوله وغلوائه وازدهرت ثماره وأوراقه وطاب مكانُ الزرع وأخصب.

(٢) أساس البلاغة: ١/ ١٣.

(٣) الآيتان: ٢٥، ٢٦ من سورة القمر

(٤) اللسان: أشر.

(٥) الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام الزمخشري: ٤/ ٣١٣ شرح وضبط ومراجعة: يوسف الحمادي – مكتبة مصر.

ففيه استعارةٌ مكنية حيثُ شبه النبات المتطاول المزدهر بالإنسان المرح المتكبر والجامعُ بين الطرفين هو شدةُ الغُلوَاء والتمادي والتطاول ثم حذف المشبه به ودلَّ عليه بإحدى صفاته ولوازمه وهو الأشِرُ «أشِرَ النباتُ»، وهي تُجسِّدُ لنا صورة هذا النبات في حيويته ونشاطه وازدهاره بصورة الإنسان المرح المتكبر النشيط، وجمالُها في نقل اللفظ من محيط الإنسان إلى محيط النبات، بحيث نرى النبات وكأنه كائنٌ حيٌّ بل وكأنه إنسانٌ يتحلى بما يتحلى به الناسُ من صفات.

المبحث الثالث
الاستعارة التمثيلية

هي اللفظُ المركب المستعمل في غير ما وُضِعَ لهُ لعلاقة المشابهة المنتزعة من أمورٍ متعددة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوع له ذلك المركب.

مثل قولهم للمتردد في الأمر بين أن يفعلَهُ وأن يتركَهُ: «إني أراك تقدِّمُ رجلًا وتؤخِّرُ أُخرىَ» (١)

ففيها تشبيهُ هيئة بهيئة، الهيئة الأولى هنا هي هيئةُ المتردِّد في أمرٍ ما بين الإقدام والإحجام – والهيئة الثانية «المشبه به» هي هيئة من يقدم رجلًا ويُؤخِرُ أُخرى واستعيرت الهيئة الثانية للأولى.

وقد وقع للإمام الزمخشري في بحثنا هذا ستُّ استعاراتٍ تمثيلية هي كما يلي:

*** الشاهد الثالث عشر:**

قولُ بعضِ الأعراب في خطاب الله (ﷻ) في سنةٍ مجدبة:

*** أَمْطِرْ علينا الغيث لا أبالكا *** (٢)

وموطن الشاهد قوله: «لا أبالكا» فهي جملةٌ خبريةٌ في اللفظ إنشائيةٌ في المعنى.

وقد ذكرها الإمامُ الزمخشري في مادة: «أ ب ي» من الإباء، وخلاصةُ المعنى الحقيقي لهذه المادة: الامتناع.

قال: ومن المجاز: لا أبالك، ولا أبا لغيرك، ولا أبا لشانِئِكَ، يقولونه في الحث حتى أمر بعضهم لجفائه بقوله:

*** أَمْطِرْ علينا الغيث لا أبالكا *** (٣)

---

(١) مباحث في طرق علم البيان أ.د/ رفعت إسماعيل السوداني: ٣٨٦-٣٨٧.

(٢)، (٣) أساس البلاغة: ١/ ٣

قال صاحِبُ اللسان: «قولهم: لا أبالك: كلامٌ جرى مَجْرى المثل، وذلك أنك إذا قلت هذا فإنكَ لا تنفي في الحقيقة أباهُ، وإنما تخرجه مخرج الدعاء عليه؛ أي أنت عندي ممن يستحقُّ أن يُدْعَي عليه بفقد أبيه.

ويؤكد عندك خروجَ هذا الكلام مخرج المثل كثرتُه في الشعر وأنهُ يقالُ لمن لهُ أبٌ ولمن لا أبَ لهُ، لأنه إذا كان لا أبَ لهُ، لم يجُزْ أن يُدْعي عليه بما هو فيه لا محالة، ألا ترى أنك لا تقول للفقير: أفقره الله؟

فكما لا تقول لمن لا أَبَ لهُ: أفقدكَ اللهُ أباك، كذلك تعلمُ أنَّ قولهم لمن لا أبَ لهُ: لا أبالكَ، لا حقيقة لمعناهُ مطابقة للفظه وإنما هي خارجةٌ مخرج المثل على ما فسرهُ أبو علي...

وهو أكثرُ ما يُذكرُ في المدح؛ أي لا كافي لك غيرُ نفسكَ.. وقد يذكرُ في معرض الذم.. وقد يذكرُ في معرض التعجُّب ودفعًا للعين كقولهم: لله دَرُّكَ.. وقد يُذكرُ بمعنى.. جِدَّ في أملِكَ وشمِّر؛ لأنَّ من لهُ أبٌ اتكل عليه في بعضِ شأنه.

وسمع سليمانُ بن عبد الملك رجُلًا من الأعراب في سنةٍ مجدبةٍ يقول:

*** ربَّ العبادِ مالنا ومالـــكْ ***

*** قد كنت تسقينا فما بدالـك؟ ***

*** أَنْزِلْ علينا الغيثَ لا أبالـكْ ***

فحملهُ أحسن محمل وقال: أشهدُ أن لا أبًا لهُ ولا صاحبة ولا ولد [1] أ. هـ

ومن خلال ما سبق نخلُصُ إلى أنَّ هذا القول فيه مجازٌ بالاستعارة التمثيلية، فهو جار مجرى المثل في الدعاءِ على المخاطب بفقد أبيه أو مدحه أو ذمه أو التعجُّب من شأنه.

---

(١) اللسان: أبى

فحقيقة القول: نفيُ الأب ولكنه سيق في مقام التمثيل على سبيل الاستعارة التمثيلية في مقام الدعاءِ على المخاطب.

فالجملةُ في حقيقتها خبريةٌ تنفي وجودَ الأب من حيثُ لفظها وحقيقتها اللغوية، ولكنها إنشائيةٌ من حيث المعنى إِذِ المرادُ بها الدعاءُ عليه بفقد أبيه، فاستعير لفظُ الخبر لمعنى الإنشاء.

ففي شاهد الإمام الزمخشري، يخاطبُ هذا الأعرابيُّ ربَّهُ في غِلظةِ وجفاءِ قائلًا: أمطِر علينا الغيثَ لا أبالك.

وقد جعلهُ الإمامُ من المجاز يعني الدعاءَ على المخاطبِ بفقد أبيه، وبين أنهم يستعملونه في الحث على فعل الشيء، وعابَ الأعرابيَّ في خطابِه ربَّه بذلك، لأنهُ من الجفاء.

ومَعهُ الحقُّ في ذلك، غير أنَّ هذا الكلامَ لهُ محملان:

* **الأول**: الحقيقة، وهو محملٌ تستدعيه العقيدة الصحيحة، وهو أنه سبحانه لا والد لهُ ولا ولد، ولذلك علق سليمانُ بنُ عبد الملك على قول الرجل بقولِهِ:

«أشهد أن لا أبا لهُ ولا صاحبةَ ولا ولد» وحمل الرجُلَ أحسن محمل وأكرمَهُ.

فَسُليمانُ بنُ عبد الملِك وهو عالِمٌ باللُغةِ حمل كلام الرجُل على الحقيقة بدافع عَقَديٍّ، لأننا غيرُ مُخوَّلين بالتنقيب في عقائد الناس أو نياتهم، وهو محملٌ حسنٌ يستدعيه مقامُ خطاب الله (ﷻ).

* **المحملُ الثاني**: المجاز وهو ما يوحي به سياقُ اللغة عمومًا، ولذلك جعلهُ الإمامُ الزمخشريُّ من المجاز، وعلى هذا فهو استعارةٌ تمثيلية – كما سبق بيانُه – فهي جملةٌ نُقلَت من معنى الخبر وهو نفيُ الأب حقيقة إلى معنى الإنشاء، وهو الدعاءُ على المخاطب بفقد أبيه،

لأنه ممن يستحقُ ذلك.

ومقامُ طلب السقيا إبَّان الجدْب من أعرابيٍّ جافى الطبع، قليل الحياء، اعتاد القسوةَ والغِلظةَ في كلامه وحياته كلها يُؤكِّدُ هذا المعنى المجازي، لاسيما وأنهُ ابتدأ كلامه بالتعنيف وسوء الأدب في خطاب الذات العلية – تعالى اللهُ عن ذلك عُلُوًّا كبيرا فقال:

ربَّ العبادِ مالنا ومالكا

وأردفَه بجفاء آخر حينما أثبت لهُ صفةَ البداء:

قد كنتَ تسقينا فما بدا لكا؟

ثم ازداد وقاحة وسوءَ أدبٍ وجفاءٍ حينما أمرهُ أو طلب منه السقيا والمطر حاثًا لهُ – سبحانه – على ذلك بهذا الجفاء وتلك الوقاحة قائلًا:

أمطِر علينا الغيثَ لا أبالكا

تعالى الله سبحانه عن ذلك عُلُوًّا كبيرا.

*** الشاهد الرابع عشر:**

قول النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر:

لا تقْذِفَنِّي بِرُكنٍ لا كفاءَ لهُ ... وإن تَأَثَّفكَ الأَعْداءُ بالرِّفَدِ (١)

قَال: «ومِنَ المجازِ: تَأَثَّفُوه: اجتمعوا حَوْلهُ» (٢) وذكر البيت.

وأصلُ التأثفِ من قولهم: تَأَثَّفْنَاه: صِرْنا حواليه كالأُثفيةِ وهي الحجارةُ التي توضعُ

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ٥ «أ ث ف» والبيتُ في ديوان النابغة الذبياني بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: ٢٦ دار المعارف ط ثالثة والمعنى: لا ترمني بسطوتك وقوتك وإن أحاط بك الأعداءُ واحتوشوك متوازرين يقوِّي بعضُهم بعضًا كإحاطة الأثافِيّ بالنار.

(٢) أساس البلاغة: ١/ ٥.

عليها القِدْرُ، وتأثَّفوا على الأمرِ: تعاونُوا، ويقال: تأثفُوه: أي تكنفُوه. (١)

فقد أكد الشاعِرُ على ضرورةِ عدم استجابةِ النعمان للوشاةِ بهذه الاستعارة التمثيلية: «وإنْ تأَثَّفَكَ الأَعداءُ بالرِفَدِ».

حيثُ شبه هيئة أعدائه وهم يحيطون بالنعمان يرميه هذا بوشاية ويقذفه الآخرُ بفريةٍ وبهتانٍ، ويُلفقُ لهُ الثالثُ تهمةً باطلةً، حتى تغيَّر قلبُ النعمان عليه لكثرة ما ذُمَّ عنده – بهيئة إحاطةِ الأثافِيّ وهي حجارةُ الموقدِ بالنار واحتوائها لها، بجامعِ الإحاطة في كلٍ ثم استعار الهيئة الثانية للأولى. (٢)

والاستعارةُ هنا تبرز ترافد الأعداء والوشاة حول النعمان، متضافرين على الشاعر يغرونه به وقد ألحوا في إبعاده، وكأن النعمان هو النارُ التي تحرق من تسوِّلُ لهُ نفسُه الاقتراب من ساحتها.

*** الشاهد الخامس عشر:**

ما أنشدهُ أبو زيد:

أَعْقِلُ قتلِي العيصَ عيصَ شُواحِطٍ ... وذلك أمرٌ لا تُثَفِّي لهُ قِدْري (٣)

قال الإمامُ الزمخشريُّ: «ويُقالُ: لا تُثَفِّ قِدْرَكَ لهذا الأمرِ، أي لا تنتَدبُ لهُ، ولا تُثَفَّى لهذا الأمرِ قِدْرَي، أي لا أُنَدبُ لمثِله، وثَفَّيْتُ قِدَرْهُ لكذا إذا جعلتَهُ عُدَّةً لهُ» وذكر البيت.

---

(١) لسان العرب: أثف.

(٢) انظر: رسالتي للماجستير بعنوان: الاعتذاريات بين النابغة الذبياني وعلى بن الجهم – دراسة بلاغية تحليلية موازنة: ٢١٨ – ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م كلية اللغة العربية بإيتاي البارود – جامعة الأزهر.

(٣)، (٢) أساس البلاغة: ١/ ٥ «أ ث ف» والعقلُ: الديةُ. والعيصُ: اسم رجُل. وشُواحط: موضع. وثفَّي القِدْرَ وأثفاها: جعلها على الأَثافِيِّ وأَثَّفْتَ القِدْرَ: أي جعلتَ لها أَثافِيَّ. «انظر: اللسان: ثفا».

والشاهدُ قوله: «لا تُثفَّي لهُ قِدْري».

وفيها استعارةٌ تمثيلية؛ حيثُ شبه هيئة عدم انتدابه لهذا الأمر وهو عَقلُ العيص، أي تحمُّلُ ديته بعد أن قتله وأنَّ مثلهُ لا يقومُ بذلك؛ لكونه غيرَ مكترثٍ لقتله، ومستنكرًا لأن يطالب بالدية، فهو غيرُ مستعدٍ لذلك ولا متأهب لهُ – بهيئة عدم الاستعدادِ لإنضاج الطعام بوضع القدور على الأثافِيِّ، ومن ثم لا تثبُتُ القِدْرُ عليها لعدم اكتمال أثافِيِّها وهي حجارةُ الموقد الثلاث، ومن ثم عدمُ استقرار القِدْر، وانعدامُ إنضاج الطعام لعدم الأهلية والأهبة والاستعداد لذلك.

والجامع هو هيئةُ عدم الاكتراث والتأهب والاستعداد في كُلٍ ثم استعار الهيئة الثانية للأولَى.

والاستعارةُ توحي بانعدام المؤهلات الفطرية لدى الشاعر للقيام بمثل تلك المهام وما وراء ذلك من مكابرة وأن الشاعر لا يُنتدب لمثل هذا الأمر فإذا كان قد قتل عيص شُواحطٍ فلن يتحمل ديتَهُ فضلًا عن أن يُقتصَّ منهُ فهو لا يعبأ لذلك.

*** الشاهدُ السادس عشر :**

قولُ الشاعر:

إزاءُ معاشٍ ما تحُلُّ إزارَها ... من الكيس فيها سوْرةٌ وهي قاعِدُ[1]

وموطن الشاهد قوله:إزاءُ معاشٍ أي حافِظةٌ لما له قيمةٌ به يصف هذه المرأة بذلك.

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ١١ مادة «أ ز ي» يُقال: إنه لإزاءُ مالٍ: إذا كان يُحْسنُ رعيته ويقوم عليه. والكيْسُ: الخِفة والتوقُّد. والسَّوْرةُ: الغضْبةُ. «انظر: اللسان، أزا، وكيس، وسور» والمعنى: يصف هذه المرأة بالمحافظة على المال وتدبير المعاش مع خِفّةٍ وتوقدٍ وحِدّة ونشاط.

قال الإمامُ الزمخشريُّ: في مادة «أ ز ي».

«يُقال: جلسَ إزاءَهُ وبإزائه أي بحذائه ثم قالوا على سبيل المجاز: هو حافِظُ ماله وإزاؤهُ: للقيِّم به»[1] وذكر البيت.

فالأصلُ في معنى المُؤازاة: المحاذاة والمقاربة والانضمام والانقباض والاجتماع والتداني.

يُقال: هو بإزاءِ فلانٍ: أي بحذائه، وقعد إزاءَهُ أي قُبالتَهُ وتآزى القومُ: دنا بعضُهم إلى بعضٍ وهو في الجلوسِ خاصة... وإنهُ لإزاءُ مالٍ: إذا كان يحسن رعيتَهُ.[2]

ففي التعبير «إزاءُ معاش» استعارةٌ تمثيلية؛ حيثُ شبه هيئة من يحافظ على المال ويقوم عليه ويدبر أمر المعاش – بهيئة من يلزمُ الشيءَ ويحاذيه ويجلسُ بجواره بجامع ملازمة الشيء في كلٍ ثم استعار الهيئة الثانية للأولى.

ووراء الاستعارة إيحاءٌ بأنَّ هذه المرأة حافظةٌ للمال مدبِّرةٌ لأمرِ المعاشر فكأنها جالسةٌ بجوار هذا المال ترعاه وتحسن رعيته والقيام بأمره، وقد أبرزت الكناية في قوله: «ما تَحُلُّ إزارها» كناية عن الحد والنشاط والاهتمام بأمر مالها ومعاشها. أبرزت شدة حرص تلك المرأة على مالها والقيام بشأنه.

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ١١.

(٢) لسان العرب: أزا.

*** الشاهدُ السابع عشر: في مادة «أ ن ف».**

قَولُ الحُطيْئَة:

ويحرمُ سِرُّ جارتهم عليهم ... ويأكُلُ جارُهُم أُنُفَ القِصاعِ(١)

وموطن الشاهد قوله: «أُنُف القِصاعِ».

وقد ذكر المعنى الأصليَّ لكلمة «أنف» وهو الحاسةُ المعروفة ثم ذكر المعاني المجازية، ومنها: كلأٌ ومنهَلٌ وكأْسٌ أُنُفٌ وذكر البيت. (٢)

وقد بيّنَت المعاجمُ الُلغوية أنَّ الأُنُفَ يوصفُ بها الكلأُ والروضةُ والكأسُ والمنهل وغيرها كل ذلك ويراد به عدم ورود أحدٍ عليه.

قال صاحبُ اللسانِ: «وروضةٌ أُنُفٌ: لم يرْعها أحدٌ، وكأْسٌ أُنُفٌ: ملْأى، وكذلك المنهل، وأرضٌ أُنُفٌ وأنيفةٌ: مُنبتَةٌ بكر نباتُها.. والأُنُفُ من الكلأ: الذي لم يُرْعَ ولم تطأْهُ الماشية... (٣)

وعلى هذا يكون المعنى أنه يمدحُ هؤلاءِ القومِ بحُسنِ الجوار، فهم يحفظون سرَّ جاراتهم أو أنهم لا يتصنَّتون عليهم، ولا يتتبعون عوْرات الجيران، وهم مع ذلك يُؤثِرون جارهم بكرمهم وطعامهم فيقدمون لهُ أُنُفَ القِصاعِ أي: أولها وطازجَها دون أن يتقدّمَهُ أحدٌ إلى الأكلِ منها، وفي هذا من المبالغة في الكرم ما فيه.

ففي التعبير استعارةٌ تمثيلية؛ حيثُ شَبَّه هيئة أول الطعام أو الأكل من الإناءِ أولًا

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ٢٢، والبيت في ديوان الحطيئة: ٦٢، ٦٣، ٦٤ بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني تحقيق: نعمان أمين طه شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

(٢) كما سبق.

(٣) اللسان: "أنف".

والطعامُ على حالهِ لم تُمَدَّ إليه الأيدي بعدُ - بهيئة الأنفِ في تقدمه للجسد، لكونه أعلى عضوٍ فيه وأرفعُ مكانٍ في الوجه، ولِما للأنفِ من مكانةٍ عظيمة ولذلك أخذت منه الأَنَفةُ، وهو مثالٌ للرفعة والكبرياء والوجاهة لدى العرب.

والجامِعُ هو هيئة التقدم وعظم المنزلة في كل ثم استعار الهيئة الثانية للهيئة الأولى على سبيل الاستعارة التمثيلية.

وقد أبرزت الاستعارةُ التمثيليةُ ما يتمتعُ به هؤلاءِ القوم من صفات الإيثار والكرم وتفضيل الجار على أنفسهم، لاسيما في أمر الطعام والشراب فهم لا يجعلون جارهم يشترك معهم في طعامهم فحسب، وإنما يجعلونه يأكلُ أُنْفَ القِصاعِ أولًا، حيث لم يُؤكل منها بعدُ، ولم تُمَدَّ إليها الأيدي وفي هذا من الإيثار ما فيه.

*** الشاهدُ الثامن عشر:**

قال الإمامُ: وجاريةٌ أُنُفٌ: لمطْمث وقال طُرَيحُ الثقفِيُّ:

أيامَ سلمى غريرةٌ أُنُفٌ ... كأنها خوطُ بانةٍ رُؤُدُ.(١)

فقد أورد الإمامُ الزمخشريُّ هذا البيت في مادة «أنف»، وقد بين أن هذا الوصف «أُنُفٌ»استعمل هنا وصفًا لسلمى على سبيل المجاز وهو مشتق من الأنف بمعناه المجازي.

وحين نقرأ في اللسان نجد أنَّ أنفَ كل شيءٍ طرفه وأولُه ومنه البيت السابق:

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ٢٢ اللغويات: غريرةٌ من الغِرة والغرور يقال: غره: خدعه بالباطل والغريرُ المغرور. خوط بانة: غصن بانٍ وهو شجرٌ تشبَّهُ به الجاريةُ الناعمة. رُؤُدُ: صفة للغصن وهي تعني: تميُّلَهُ يمينًا وشمالًا. والمراد: أنها شابةٌ سريعةٌ الشباب مع حسن غذاءٍ وتَثَنٍّ. [اللسان: غرر، بين، رأد].

«ويأكل جارهم أنف القِصاعِ» [1] أي أولها وطازجها دون أن يتقدمه أحدٌ إلى الأكل منها. وروضةٌ أنفٌ: لم يرعها أحدٌ وكذلك كلأٌ أنفٌ... [2]

ومن خلال هذه المعاني يتضحُ لنا معنى هذا الوصف «أُنُفٌ» في سياق شاهدنا فالمراد أنها فتاةٌ بكرٌ لم توطأ بعدُ، وعلى هذا ففي التعبير استعارةٌ تمثيليةٌ، حيث شبه هيئة سلمى هذه وهي فتاةٌ بكرٌ لم توطأ بعدُ ولم يمسَّها أحدٌ ومازالت بروائها وشبابها يجري فيها رونق الشباب وماؤه، وما تتمتعُ به من أنفةٍ وكبرياءٍ وشموخ – بهيئة الأنف في تقدمه لجميع الأعضاء وعلوه على كل البدن حسيًا ومعنويًا؛ ولذلك كان مضربًا للأنفةِ والشموخِ والكبرياء.

والجامعُ هو الهيئةُ المكونة من التقدم على الجميع ومن ثم الشممُ والأنفةُ والكبرياء، ثم استعيرت الهيئة الثانية للأولى على سبيل الاستعارة التمثيلية.

وَوَراءَها إشعارٌ بمكانةِ تلك الفتاة وأنفتها وإحساسها بالرفعةِ والكبرياءِ والشموخ.

(١) انظر ص: ٣١

(٢) اللسان: أنف

الفصل الثاني
شواهِدُ المجاز العقلي

درج علماءُ البلاغة على دراسة المجاز العقلي في أحوال الإسناد الخبري، وذلك لأن التجوز فيه قائمٌ من حيثُ الإسنادُ لا من حيثُ اللغة، والعقل هو الذي يحكم بذلك أو الإسناد أو النسبة، ولذا فإنه يسمى بالمجاز العقلي أو الحكمي أو النسبي.

وقد عرفه الخطيبُ القزوينيُّ بقوله:

هو إسنادُ الفعل أو معناهُ إلى مُلابسٍ لهُ غير ما هو لهُ بتأول.

قال: وللفعلِ ملابساتٌ شتى، يلابسُ الفاعل، والمفعول به، والمصدر، والزمان، والمكان، والسبب. (١)

وهذه الملابساتُ المتعددة هي علاقاتُ المجاز العقلي، وقد وقع للإمام الزمخشري في شواهده الشعرية الأربعين التي وقفتُ عليها في باب الهمزة – وقع له شاهدٌ واحدٌ للمجاز العقلي، وقد لابس الفِعْل فيه السببَ.

وقد يكون مراد الإمام حين ذكر هذا الشاهد بقوله: «ومن المجاز» قد يكون مراده المجاز العقليَّ لا الُلغويَّ، ولكنه لم يفصح عن ذلك.

وقد أقمتُ لهذا الشاهد – على ضآلته – فصلًا خاصًا؛ لأنه لا مناص من ذلك، حيث لم يمكن لي أن أدرج المجاز العقلي مثلًا تحت فصل الاستعارة أو غيره؛ لأن في هذا مخالفة للصواب.

---

(١) الإيضاح في عُلوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: ٥١ تأليف: الخطيب القزويني – تحقيق ودراسة الدكتور/ عبد القادر حسين – الناشر مكتبة الآداب ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

الفصل الثاني
شواهدُ المجازِ العقلِي

*** الشاهِدُ التاسع عشر:**

قولُ أوس بن حجر:

وقد أكلت أظفَارَهُ الصخرُ كلما ... تعَنَّى عليه طولُ مرقىً توصَّلا (١)

وموطن الشاهد قولهُ: أكلت أظفاره الصخرُ، فقد جعل الإمامُ الزمخشريُّ هذا التعبير من المجاز.

فالشاعِرُ هنا يصفُ رجُلًا يتصَّعدُ جبلًا أو صخرةً عاليةً فهو يتشبَّثُ بيديه بالأحجار والصخور كلما صعب عليه مرقىً توصل إلى آخر، وقد أثرت الصخورُ في يديه وأنامله حتى أكلت أظفارَهُ.

والأُسلوب هنا جارٍ على طريقة الإسناد العقلي أو المجاز العقليّ، في إسناد الشيءِ إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة عقلية وهي الاستحالة.

ففي التعبير مجازٌ عقليٌّ علاقتهُ السببية «أكلت أظفارَهُ الصخْرُ»، فالصخر لا تأكل في الحقيقة ولا يصحُّ أن يُسْنَدَ لها الأكلُ، وإنما هي سببٌ لتآكلَ أظفار الرجل لشدتها وصلابتها.

وقد استقصيتُ كل الشواهد الشعرية في حرف الهمزة فلم أجد سوى هذا الشاهد للمجاز العقلي ولم يكن بُدٌّ من أن أجعل له فصلًا مستقلًا بذاته رغم صغره على هذا النحو.

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ١٧، والبيت في ديوان الشاعر برواية:

تعايا عليه طول مرقىً توصَّلا، بدلًا من: تعنَّى انظر ديوان أو س بن حجر ص: ٨٧ تحقيق وشرح د/ محمد يوسف نجم دار صادر – بيروت ط ثالثة ١٩٧٩م.

الفصل الثالث
شواهِدُ الكناية

«ما ذكر الإمامُ أنه من المجاز وهو من الكناية»

عرف علماءُ البلاغة الكناية بأنها لفظٌ أريد به لازمُ معناه مع جواز إرادة معناه حينئذٍ كقولك: «فلانٌ طويلُ النجاد» أي طويلُ القامة، و«فلانةٌ نؤومُ الضحى»أي مُرفَّهةٌ مخدومة غيرُ محتاجةٍ إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات... ولا يمتنع أن يُرَادَ مع ذلك طول النجاد والنومُ في الضحى من غير تأوُّل. (١)

فالفرق بين قرينة الكناية وقرينة المجاز يتمثل في أن قرينة الكناية لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي أو الأصلي، بخلاف قرينة المجاز، فإنها تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

لذلك بإمعان النظر في شواهد المجاز الشعرية التي ذكرها الإمامُ الزمخشريُّ في حرف الهمزة تبين أن من بينها خمسة شواهد ليست من قبيل المجاز، وإنما هي من قبيل الكناية، حيث إن المعنى يشير إلى ذلك مع كون القرينة لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

وهي كما يلي:

---

(١) الإيضاح: ٣٦٥.

الفصل الثالث
«شواهدُ الكناية»
«ما ذكر الإمامُ أنه من المجاز وهو من الكناية»

وهي خمسةُ شواهد على النحوِ التالي:

*** الشاهِدُ العشرون:**

ما ورد في مادة «أ ز ر» حيثُ ذكر أنَّ من المجاز:

وشدَّ للأمرِ مِئْزَره إذا تشمرَّ لهُ. قال في صفة الحمار:

شَدَّ على أمرِ الورود مِئْزَره (١)

فالشاعِرُ هنا يصفُ حمار وحشٍ يردُ ماء وقد تشمر وأعد العُدَّة للورود.

ومعلومٌ أنَّ شدَّ المِئرز كنايةٌ عن التشمر للشيءِ والاستعداد لهُ.

فقد ورد في لسانِ العربِ: الإزارُ: الملحفةُ.. والمؤازرة: المساعدة والإعانة.. والأَزْرُ: القوة والشدة والظهرُ.

وفي حديث الاعتكاف: كان إذا دخَل العشرُ الأواخر أيقظَ أهلهُ وشدَّ المِئزر: المِئْزَرُ: الإزار: وكني بشده عن اعتزال النساء. وقيل: أراد تشميره للعبادة يقال: شدَدْتُ لهذا الأمر مِئزري: أي تَشَمَّرْتُ لهُ. (٢)

وعلى هذا فليس الكلامُ هنا من قبيل المجاز وإنما هو كناية عن صفات وهي التشميرُ والاستعدادُ للشيء وهو هنا الورود.

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ١٠.

(٢) لسان العرب: أزر.

وقد يُقالَ إنَّ شدَّ المِئْزَر كناية عن التشمير للشيء والاستعداد لهُ مع الإنسان؛ لأن الإنسان هو الذي يمكن أن يرتدي إزارًا أو مِئزرًا ومعلومٌ أن قرينة الكناية لا تمنعُ من إرادة المعنى الحقيقي أما الحِمارُ فلا يوصفُ بارتداءِ المِئزر أو شدِّه ولذلك اعتبرها الإمامُ الزمخشريُّ مجازًا.

فكأنه هنا من قبيل المجاز المركب الذي نقل فيه تركيبٌ بأكمله من محيطه المستعمل فيه «محيط الإنسان هنا» إلى محيطٍ آخر، وهو هنا «محيط الحيوان».

وهذا وجهٌ قويٌّ، لأنَّ الكناية هنا يمتنعُ معها المعنى الحقيقيُّ وإن كان الأصلُ في هذا التعبير «شد المئزر» أن يستعمل كناية عن الجد والتشمير للشيء.

*** الشاهد الحادي والعشرون:**

مادة «أزر» كذلك:

قولُ الفرزدق:

فقُلْتُ لها: ألَّا تعرفيني

إذا شَدَّتْ مُحافظتي الإزارا (١)

والشاهد قوله: « **شَدَّتْ مُحافظتي الإزارا**»

حيثُ جعل الإمامُ الزمخشريُّ شدَّ الإزار من المجاز قال:

«**ومن المجاز:..... شدَّ للأمرِ مِئزره إذا تشمرَّ لهُ**» (٢)

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ١٠ والبيت في ديوان الفرزدق. ١/ ٣٥٦ دار صادر بيروت – تحقيق: كرم البستاني.

(٢) أساس البلاغة: ١/ ١٠

وذكر البيت...

ومعلومٌ أن هذا كسابقه من باب الكناية عن صفة وهي هنا الجِدُّ والتشمُّرُ للذبِ والدفاع عن الحُرُمات في الحروب.

وقد أسند الشَّدَّ إلى المحافظة وهي الذَّبُّ عن المحارم والمنعُ لها عند الحروب. (١)

وكأنَّ هذه الصفة المعنوية «المحافظة» في قوله: «شدَّت محافظتي الإزارا» هي التي تشُدُّ إزارها وتستعِدَّ للاستماتة في الدفاع عن الأعراض.

وهنا يمكن أن نقول إن مرادَ الإمام الزمخشري من وضع هذا التعبير من قبل المجاز أنهُ أسند الشيء فيه وهو «شدُّ الإزار» إلى غير ما هو لهُ «المحافظة» وهو فاعِلٌ معنوِيٌّ، وعلى هذا يكون من قبيل المجاز العقليّ.

وإن كان الأصلُ في هذا التركيب «شدُّ الإزارا» أن يُستعمل كنايةً عن صفة هي التشمير والجدُ.

*** الشاهدُ الثاني والعشرون:**

في مادة «أزر» كذلك:

جعل الإمامُ الزمخشريُّ من المجاز قولهم:

وفُلانٌ عفيفُ المِئْزَر والإزار. قالت خِرْنِقُ:

*** والطيِّبُونَ معاقِدِ الأُزْرِ *** (٢)

---

(١) لسان العرب: حفظ.

(٢) أساس البلاغة: ١/ ١٠ والبيت في ديوان الخِرنق بنت بدر بن زهفان أخت طرفة بن العبد: ٤٣ شرحه وحققه وعلق عليه: يسري عبد الغني عبد الله دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ط أولى ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

والشاهدُ قوله: معاقِد الأُزْرِ، حيثُ جعلها مجازًا عن العفة والواقِعُ أن هذا التعبيرَ يستعمل كناية عن العفة والصون لا مجازًا.

قال صاحبُ اللسان:

« والأُزْر: معقِدُ الإزار: وقيل: الإزارُ: كُلُّ ما وراكَ وسترك. والإزارُ: العفافُ على المثل. فلانٌ عفيفُ المئزر وعفيفُ الإزار؛ إذا وُصِفُ بالعفةِ عما يحرُمُ عليه من النساء. ويُكنى بالإزارِ عن النفس وعن المرأةِ.. والإزارُ: المرأةُ على التشبيه...» (١)

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن هذا التعبير «معاقِدُ الأُزر» كناية عن العفة والتصوُّن عما يحرُم على المرءِ من النساء؛ لأن عقد الإزار يستلزمُ ذلك دون وساطة، وقرينةُ الكناية هنا لا تمنعُ من إرادة المعنى الحقيقي.

*** الشاهدُ الثالث والعشرون:**

مادة «أ ن ف»

قولُ الشاعر:

وجاءَ كمثلِ الرَّأْلِ يتْبعُ أَنفَهُ ... لِخُفَّيهِ من وقعِ الصخور قعاقِعُ (٢)

وموطنُ الشاهد: «يتْبعُ أَنفَهُ» فقد جعل الإمامُ الزمخشريُّ هذا التعبير من المجاز وهو قولهم: «وفُلانٌ يتبعُ أَنفَهُ أي: يتشمَّم». (٣)

والرألُ: ولدُ النعام يُضربُ به المثلُ في تَشمُّمِ الرائحةِ من بُعْد.

قال الجاحظُ في كتابه الحيوان بعد أن ذكر هذا البيت:

---

(١) اللسان: أزر.

(٢)، (٣) أساس البلاغة: ١/ ٢٢.

«فإنَّ الرألَ يشتمُّ رائحة أبيه وأمه والسبُعَ والإنسانَ من مكانٍ بعيدٍ، وشبَّه به رجلًا جاء يتَّبعُ الريحَ فيشْتمُّ».(١)

فالأسلوب كنائي وهو كناية عن صفةٍ وهي تشمُّمُ الرائحة وتتبعُّه لها كأنهُ يسيرُ وراءَ أنفه وكأن أنفَهُ هو الذي يهديه.

وقد كَنَوا بالأنف عن أشياء أُخَرَ من ذلك قولهم: «ورم أنفُه: أي اغتاظ وهو من أحسن الكنايات؛ لأنَّ المغتاظَ يَرِمُ أنفه ويحمرُّ».(٢)

وإنما اختاروا الأنف في كنايتنا هنا «يتبعُ أنفَهُ» لكون الأنف في مقدم الجسدِ والوجه فهو أول ما يبرز من الإنسان، ولكونه حاسة الشمِّ.

*** الشاهدُ الرابع والعشرون: مادة «أ ي د»**

قال الإمامُ الزمخشريُّ: «ومن المجازِ: إنهُ لأَيِّدُ الغَدَاءِ والعشاءِ، إذا كان حاضِرًا كثيرًا. وقد آدتْ ضيافتُه. قال يصِفُ امرأةً مِضيافة:

رأيتُكِ للزوَّارِ كالمشربِ الذي
إذا عطِشُوا يومًا فمن شاءَ أوردا
جُذاميَّةٌ آدت لها عجوةُ القُرى
وتخلِطُ بالمأقوطِ حيْساً مُجعَّدًا(٣)

---

(١) الحيوان للجاحظ: ٤/ ٤٠٣ تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ط ثانية ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦م.

(٢) لسان العرب: أنف

(٣) أساس البلاغة: ١/ ٢٧.

وموطنُ الشاهدِ قوله: «آدت لها عجوةُ القُرى» حيث استعمل مجازًا عن كثرة الضيافة، والواقع أنه كناية عن ذلك حيثُ لا تَجوُّزَ في الإسنادِ ولا في اللغة.

وقد ورد هذا البيت في لسان العرب من مادة «حيس»، و «خَذَم» برواية:

خِذاميَّةٌ آدت لها عجوةُ القُرى ... وتأكُلُ بالمأقوطِ حيْساً مُجعَّدًا

نسبة إلى خِذام: بطنٌ من محارب. قال: أراد عجوة وادي القُرى.

والمُجَعَّدُ: الغليظ. والحيسُ: الأقِطُ يُخلطِ بالتمرِ والسمنِ.

والأقِطُ: شيءٌ يتخذُ من اللبنِ المخَيص يطبخ ثم يترك حتى يمصُل.

وحيسٌ مجعَّدٌ: غليظٌ غيرُ سبط. وقال في الموضعين:

رماها بالقبيح يقول: هي مخلِطةٌ لا تختارُ من يواصلها (١)

فالشاعِرُ هنا يصفُ امرأة بِكثرةِ ورود الزوَّار عليها حتى صارت كالمنهلِ المورود للظمأى والعطشى يَرِدُونه متى شاءوا.

وهي من أجل ذلك كريمةٌ مِضيافةٌ «آدت لها عجوةُ القُرى» تقدم لضيفانها أشهى الطعام.

قال ابن منظور: أدَ الشيءُ أَودًا: رجع ومال، قال يمدحُ امرأةً مالت عليها الميرةُ بالتمر. وذكر البيت (٢)

فذكره هنا في مادة «أود»

فقد اشتمل البيتان على ذمٍ ومدحٍ، أما الذمُّ فحيث رماها الشاعر بالقبيح وأنها لا

(١) لسانُ العربِ مواد: أقط، حيس، خذم.

(٢) اللسان: أود.

تثبت على رجلٍ واحد ولا تختار من يواصِلُها من الرجال، بل تترك نفسها مرْتعًا خصبًا لكل الواردين.

وأمَّا المدحُ: فكونها لذلك مِضيافةً. كما قال الإمامُ الزمخشريُّ..

وهو في سبيل التعبير عن هذا المعنى يستعمل الكناية الواردة في قوله:

«آدت لها عجوةُ القُرى» وهي كناية عن صفة وهي كرمُ الغداءِ والعشاءِ، استعدادًا لقدوم الضِيفان، وطُروق الرجال.

الفصل الرابع
شواهِدُ الحقيقة

«ما ذكر الإمامُ أنهُ من المجاز وهو من الحقيقة»

حين شرع علماءُ البلاغة في دراسة المجاز فإنهم يبدأون حديثهم عَنه بتعريف الحقيقة وذلك ليتبين الفرقُ بينهما.

وقد عرف الخطيبُ القزوينيُّ الحقيقة بأنها: الكلمةُ المستعملةُ فيما وُضِعت لهُ في اصطلاحِ به التخاطب(١)

والحقيقةُ: لُغويةٌ أو شرعيةٌ أو عرفية خاصةٌ أو عامة؛ لأنَّ واضعها إن كان واضع اللغة فلُغوية، وإن كان الشارع فشرعية، وإلا فعُرفية، والعرفيةُ إن تعين صاحِبُها نُسِبت إليه كقولنا: كلامية ونحوية وإلا بقيت مطلقة.

مثال اللغوية: لفظ «أسد» إذا استعمله المخاطب بعرف اللغة في السبع المخصوص، ومثالُ الشرعية: لفظ «صلاة» إذا استعمله المخاطبُ بعرف الشرع في العبادة المخصوصة، ومثال العرفية الخاصة لفظ: «فعل» إذا استعمله المخاطبُ بعرف النّحْو في الكلمة المخصوصة، ومثال العرفية العامة لفظ «دابة» إذا استعمله المخاطبُ بالعرف العام في ذي الأَربع. (٢)

فهذه مقاييسُ أربعةٌ إذا استعملت الكلمةُ من خلال واحد واحدٍ منها فإنها حقيقة، وكتب اللغة ومعاجِمُها لها باعٌ كبيرٌ في تحقيق ذلك ولذلك عرَضتُ شواهِد المجاز التي

(١) الإيضاح: ٣٠٥.

(٢) السابق: ٣٠٨.

ذكرها الإمامُ الزمخشريُّ في حرف الهمزة – أعني الشواهد الشِّعْرية – والتي جعلها من المجاز عرضتُها على كتب اللغة ومعاجِمِها، فوجدتُ من الأربعين شاهدًا التي ذكرها في حرف الهمزة ستة عشر شاهدًا ليست من المجاز وإنما استعملت فيها الكلمة – موضع الشاهد – في حقيقة معناها.

لذلك أفردتُ هذا الفصل لأتناول فيه تلك الشواهد الشعرية التي جعلها الإمامُ من المجازِ وهي من الحقيقة، حيث لا تجوز في الكلمة، وتشهد معاجم اللغة بذلك ولا يعني ذلك على الإطلاق تخطئه عالم كبير كالإمام الزمخشري وإنما يمكن أن يفسر هذا بأحد تفسيرين.

- **الأول**: تطور اللغة فما كان عندهم مجازًا صار حقيقة بعد ذلك بتطور الزمان حين كتبت معاجم اللغة كلسان العرب وغيره ومعلومٌ أنَّ الإمام الزمخشري عاش في القرنين: الخامس والسادس الهجريَّيْن.

- **الثاني**: عدم استقرار الضوابط والقواعد البلاغية والمصطلحات بصورتها المعروفة فيما بعد على يد الخطيب وشراح تلخيصه.

الفصلُ الرابع
«شواهِدُ الحقيقة»

«ما ذكر الإمامُ أنه من المجاز وهو من الحقيقة»

*** الشاهدان: الخامس والعشرون والسادس والعشرون:**

في مادة «أ ب د»

وإنما جمعتهما في قرنٍ واحدٍ لاتحاد موضع الاستشهاد بهما.

قال الإمامُ الزمخشريُّ بعد أن ذكر أن المعنى الأصليَّ للفظ الأبد يدور حول التوحُّش والتخليد والبقاء:

«ومن المجاز: فلانٌ مُولَعٌ بأوابدِ الكلام وهي غرائبُه، وبأوابدِ الشعر وهي التي لا تُشاكَلُ جودة.

قال الفرزدقُ:

لن تُدْرِكُوا كرمي بِلُؤْمِ أبيكَمُ ... وَأوابدي بتنحُّلِ الأشعارِ (١)

وقال النابغة:

نُبِّئْتُ زُرْعةَ والسفاهةُ كاسمها ... يُهدى إليَّ أوابِدَ الأشعارِ (٢)

وموطنُ الشاهد في بيت الفرزدق قوله: «وأوابدي» وفي بيت النابغة قوله: «أوابدَ الأشعار».

حيث ذكر الإمامُ الزمخشريُّ أنهما مجازٌ عن غرائب الكلام والقوافي التي لا تشاكل

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ١ والبيت في ديوان الفرزدق ١/ ٣٥٩.

(٢) أساس البلاغة: ١/ ١ والبيت في ديوان النابغة الذبياني: ٥٤ برواية: غرائب الأشعار.

جودة.

وبالنظر فيما قالهُ أهلُ اللغة يتضحُ أن استعمال لفظ الأوابد هنا في الموضعين بهذا المعنى أقربُ إلى الحقيقة.

فلفظ «أوابد» جمعُ «آبدة» وهي مؤنث «آبد» وخلاصةُ كلام أهل اللغة أنها تدور حول معنيين حقيقيَّين وهما:

(١) التخليدُ وطولُ البقاء، وهذا المعنى مستفادٌ من حاقِّ اللفظ «الأبد» ويوصفُ به شيئان:

(أ) الوحشُ حين تسكُنُ القفار ويطول بقاؤها فيها وهي حقيقةٌ فيه حتى قالوا: «أبدَ أُبودًا: توحَّش وانقطع عن الناس». [١]

والتأبُّدُ: التوحُّشُ، والأوابِدُ: الوحشُ؛ سميت بذلك لبقائها على الأبد، وتأبد المنزِلُ أي أقفر وأَلِفتْهُ الوحوش. [٢]

ومن ثَم فلفظُ أوابد بمعناهُ الأول حقيقةٌ في الوحش التي سكنت القفار وانقطعت عن الناسِ ولا مجاز فيه.

(ب) الشوارِدُ من القوافي قال في اللسان: ويُقالُ للشوارِد من القوافي: الأوابِدُ، واستشهد ببيت الفرزدق. [٣]

وهذا معنى تفسير الإمام الزمخشري لأوابد الشعر بقوله:

---

(١) المعجم الوسيط: أبد. إصدار مجمع اللغة العربية – القاهرة ط ثانية.

(٢) اللسان: أبد.

(٣) السابق والمادة.

«وهي التي لا تُشاكلُ جودةً» [1] ولكنه جعلها من باب المجاز، والحقُّ أنها حقيقةٌ في ذلك بدليل ما سبق.

وإنما سميت كذلك «أوابد» لبقائها وخلودها على مر الزمان، لما فيها من حِكم وأمثال، فبقيت على وجه الدهر لكثرة استشهاد الناسِ بها في الحوادث المتعددة.

وإنما كان حقيقةً، لأنَّ اللفظَ لم ينقل من معناه الحقيقي:

«التخليد والبقاء» إلى معنى مجازي آخر، وإنما تعدَّد الموصوفُ به، فإما أن يكون وحشًا وإما أن يكون شعرًا، وكلاهما حقيقيٌّ لإرادة المعنى الأصلي دون تجوُّزٍ أو نقلٍ.

(٢) والمعنى الثاني للفظ «أوابد» الغرائب، وفي هذا يقول الزمخشريُّ: «وفلانٌ مولعٌ بأوابد الكلام وهي غرائبُهُ» وقد جعلها من المجاز. [2]

والحقُّ أنها حقيقة فقد يحتملُ اللفظُ أكثر من معنى؛ فإذا كان لفظُ الأوابد في مقام الحديث عن الشعر يعني الشوارد من القوافي التي تبقى وتخلد على مرِّ الزمان، وهو ما حمل عليه بيت الفرزدق.

لن تدركوا كرمي بلؤم أبيكم ... وأوابدي بتنحُّل الأشعار

فهو يريدُ أن يقول: أنه أصيلٌ في الشعر، ولذلك قابل مدحه لنفسه وبقاءِ قصائده وخلودها – قابل ذلك بهجاءِ أعدائه بأنهم ينتحلون الأشعار فهم دخلاءُ على الشعرِ غيرُ أكفاء.

إذا كانت «الأوابدُ» في بيت الفرزدق بهذا المعنى وهو حقيقي، فإنها في بيت النابغة

---

(١) أساس البلاغة: أ ب د.

(٢) السابق والمادة.

بالمعنى الثاني وهو الغرابة أو الغرائب، وذلك في قوله:

نُبِّئْتُ زُرْعةَ والسَّفاهةُ كاسمها ... يهدي إليَّ أوابدَ الأشعار

قال في اللسان: «ويُقالُ للكلمة الوحشية «آبِدةٌ» وجَمعُها: أوابد، وفي المعجم الوسيط: أبد الشاعِرُ ونحوهُ: أتى بالعويص في شعره. (١)

وعلى ذلك يُحمْلُ لفظُ: الأوابد في قول النابغة وهو في مقام هجائه لزرعة هذا.

فالمقصودُ بالغرابة هنا: الغرابةُ الوحشيَّةُ غيرُ المستأنسةِ، وهي التي جعلها علماءُ البلاغة عيبًا يخل بفَصاحة الكلمة، فهو يتحدثُ في شعرهِ بكلماتٍ غير معروفة ولا مأنوسة الاستعمال عند العرب الخُلَّص كاد الزمنُ أن يميتها، ومن ثم عابه النابغة لذلك.

ولذلك ورد البيتُ في الديوان برواية: «غرائبَ الأشعارِ» وقد علق محقق الديوان على هذه الرواية بقوله: يعني أنهُ غيرُ مشهور بالشعر ولا منسوبٍ إليه، فالشعرُ غريبٌ من قِبله إذْ ليسَ من أهلهِ. (٢)

الخلاصة:

أن كلمة «أوابد» تحتمِلُ وَفقًا لما أوردَتْهُ كتب اللغة معنيين، كلاهما حقيقيٌّ:

(١) معنى الخلود والبقاء وطول المكث اشتقاقًا من لفظ الأبد وهو الدهر والتأبيد وهو التخليد.

وهذا المعنى هو الوارِدُ في بيت الفرزدق:

*** وأوابدي بتنحُّلِ الأشعار ***

---

(١) المعجم الوسيط: أبد.

(٢) ديوان النابغة الذبياني: ٥٤.

(٢) الثاني: معنى الغرابة وهو المراد في بيت النابغة:

* **يهدي إليَّ أوابِدَ الأشعار** * وفي رواية:

غرائبَ الأشعارِ، ويؤكد الحقيقة هنا إضافتها إلى الأشعارِ فكيف يضاف الشيء إلى نفسه حين تكون مجازًا عن الشعر الجيد؟.

وجمالُ الحقيقة هنا أن تستعمل الكلمةُ تارة في مقام المدَح كما عند الفرزدق، وأخرى في مقام الهجاء – كما عند النابغة.

* الشاهِدُ السابع والعشرون:

قول النابغة الذبياني:

وذلك من قولٍ أتاكَ أقولُه ... ومن دسِّ أعدائي إليك المآبِرَا

فقد ذكر الإمامُ الزمخشريُّ في مادة «أبر» من المجاز قولهم:

«دبَّت بينهم العقارِبُ إذا مشت بينهم النمائِمُ وذكر بيت النابغة» (١)

فقد جعل المآبِرَ مجازًا عن النمائم.

والصحيحُ أنها حقيقة فيها، قال في اللسان:

«أبرَ إذا آذى، وأَبَر إذا اغتابَ، والإبرةُ والمِئبَرَةُ: النميمة، والمآبِرُ: النمائمُ وإفسادُ ذات البين قال النابغة:

وذلك من قولٍ أتاك أقوله: ومن دسِّ أعدائي إليكَ المآبَرا

وأبرتْهُ العقربُ: أي لسعتْهُ بإبْرَتِها». (٢)

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ١، ٢ والبيتُ في ديوان النابغة الذبياني: ٦٩.

(٢) اللسان: أبر.

وعلى هذا فلا يمكن القولُ بأن المآبر مجازٌ عن النمائم؛ لأنها حقيقةٌ فيها كما تقول كُتبُ الُلغة.

وغايةُ ما يمكن قولُهُ: أنَّ لفظ المآبر بمعنى النمائم يوحي بالوخز واللسع وشدة الألم والأذى؛ لما يترتَّبُ عليه من إفساد ذاتِ البين وتقطع أواصِر المحبة والرحم بين الناس.

**** الشاهِدان الثامن والعشرون والتاسع والعشرون:**

ذكَرهما الإمامُ الزمخشريُّ في مادة «أدم» وبيَّن أنَّ من المجاز قولهم: «ظلَّ أديمَ النهار صائمًا وأديمَ الليل قائمًا أي كُلّهُ».

قال بشرٌ يصفُ إبلًا:

فَباتتْ ليلةً وأديمَ يومٍ ... على المنْهَى يُجَزَّ لها الثَّغَامُ (١)

وقال معقِلُ بنُ عوفٍ بن سُبيْع:

فباتوا حولنا حرسًا وباتت ... أَديمَ الليلِ لا يَعذِفْنَ عوُدًا (٢)

فقد ذكرها الإمامُ الزمخشريُّ في المجاز، ولكن قوله: «ظلَّ أديمَ النهارِ صائمًا وأديمَ الليلِ قائمًا أي كُلّهُ» يوحي بأنهما حقيقة.

فأصلُ الأديم: الجلدُ.. وأديمُ كل شيءٍ ظاهِرُ جلده، وربما سُمِّي وجهُ الأرضِ أديمًا،

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ٧ والبيت في ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي: ١٣٠ قدم له وشرحه: مجيد طراد الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – ط أولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

اللغويات: فباتت: أي ظلَّت الإبلُ ليلة كاملة، وأديم يومٍ: أي بياضَ نهارٍ، والمنهي: موضع، ويُجَزُّ من الجزِّ وهو القطع، والثَّغام جمعٌ مفردهُ الثَّغامةُ، وهي شجرةٌ تبيضُّ إذا يبست كأنها الثلجُ يشبَّهُ الشيْبُ بها «انظر: اللسان: أدم، ثغم».

(٢) أساس البلاغة: ١/ ٧ وأديمَ الليلِ: أي سواهُ وظلمتُه. [اللسان: أدم]

وأديمُ الليل: ظلمتُه، وأديمُ النهار بياضُه. (١)

فكلمة «أديم» في البيتين مضافةً في البيتِ الأول إلى «يوم»: «وأديمَ يومٍ» وفي البيت الثاني إلى «الليل»: «أديمَ الليل» مستعملةٌ في معناها الحقيقي، وهو بياضُ النهار وسوادِ اللَيل كما ذكر صاحِبُ اللسان، ولا معنى لأن تكونَ الكلمةُ هنا من قِبلِ المجاز.

ومما يُؤكِّدُ الحقيقة المقابلة في البيت الأوَّل بين البيات، وهو إنما يكونُ في سوادِ الليلِ، وبين لفظ «أديم» مضافةً إلى «يوم» والمرادُ به بياضُ النهار.

وكذلك ذكرُ البيات في البيت الثاني: «وباتت أديمَ الليل»، أي سواد الليل وظُلمتهُ.

*** الشاهِدُ الثلاثون:**

قال الإمامُ: «وأنشدني بعضُ الحجازيِّين:

وبِتْنـــا بِقَـــرْ واحِيَّـــةٍ لا ذَرا لهـــا ... مـــن الـــريحِ إلَّا أن نلـــوذَ بكُـــور

فلا الـصبحُ يأتينا ولا الليلُ ينقضي ... ولا الـريحُ مـأذونٌ لهـا بـسكور (٢)

---

(١) اللسان: أدم.

(٢) أساس البلاغة: ١/ ٨

والقِرْواحُ من الأرض: الفضاء التي ليس بها شجر، والذَّرا بالفتح: كل ما استترت به يقال: أنا في ظل فلان وفي ذَراهُ، أي في كنفه وستره ودفئه، والكور: الرحلُ أو مجمرةُ الحدَّاد. والسكور: السكون: [انظر: اللسان: قرح، ذرا، كور، سكر] والمعنى: وبِتْنا بأرضٍ واسعةٍ فضاء لا نبات فيها لا يستُرها شيءٌ من الريح إلا أن نلتجئ إلى أكوار النوق لنحتمي فيها من شدة الريح، وقد طال علينا الليلُ واشتدَّ فلا مطمح لنا في طلوع النهار ولا انقضاءِ الليل ولا أمل في توقف برد الريح واشتداد عاصفتها حتى كأنها لم تُؤْمرْ بَعدُ بالسكون والهدوء.

والشاهدُ فيه قوله: مأذونٌ لها، حيثُ استعمل لفظ الإذن في غير معناه الحقيقي على سبيل المجاز.

وأصلُ هذا الفعل: «أَذِن» وهو مأخوذٌ من اسم حاسة الأُذن ولهذا يستعمل بمعنى «استمع» قال رسولُ اللهِ (ﷺ) «ما أذِن اللهُ لشيءٍ كأَذَنِه لنبيٍّ يتغنَّى بالقُرآن» [1] أي ما استمع.

وقال تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [2] أي استمعت وأطاعت وانصاعت لأمر الله.

وعلى هذا يمكن أن يكون ذلك نوعًا من التضمين أعني تضمين الفعل «أذن» معنى فعل آخر وهو «أمر» في البيت الذي معنا، والمعنى يقتضي ذلك، فالريحُ تُؤمرُ بالسكون والفتور ومن ثم كان المعنى حقيقيًا لا تجوُّزَ فيه. [3]

*** الشاهدُ: الحادي والثلاثون.**

قال الإمامُ الزمخشريُّ: في مادة «أرز».

لا يزالُ فلانٌ يأرِزُ إلى وطنه، أي حيثُما ذهب رجع إليه. وفلانٌ إذا سُئِلَ أزَّ أي تقبَّض. وما بلغ أعلى الجبل إلَّا آرِزًا أي مُتقبِّضاً عن الانبساط في مشيهِ من شدة إعيائه، وشجرةٌ آرِزة: ثابتةٌ: وإنَّ هذه الدابةَ لآرِزةُ الفَقَار.

---

(١) صحيح مسلم: ١/ ٥٤٦ حديث رقم ٧٩٣ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) الآية «٢» من سورة الانشقاق.

(٣) الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجر تأليف: محمود إسماعيل عمار: ٥٣، ٥٤ دار عالم الكتب – ط أولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م – الرياض – المملكة العربية السعودية.

ومن المجاز: بِتْنا بليلةٍ آرِزةٍ، يأْرِزُ مَنْ فيها لشدة بردِها، يقال: أَرَزَتْ أصابِعُهُ مِنَ البَرْدِ. قال:

*** وقَدْ أَرَزَتْ مِنْ بَرْدَهِنَّ الأَنَامِلُ *** (١)

فقد جعل الإمامُ أَزَّ الأصابع مجازًا عن تقبُّضها من شدةِ البرد وبالنظرِ في معاجمِ اللغة يتَبينُ لنا أنَّ مادة أَزَّ تدور حول معنى: التقبُّض والتجمُّع والثبوت والتضام.

قال في لسانِ العرب:

«أَرَزَ يأْرَزُ أُرُوزًا: تقبَّضَ وتجمَّع وثبَت فهو آرِزٌ: ثابتٌ مُجتمِعٌ.. وتضَآمَّ وتقبَّضَ من بُخلهِ.. وسُئِلَ حاجةً فأرِز: تقبَّض واجتمع.. وآرِزةُ الفَقار: مُدْمجةُ الفقارِ مُتداخلةٌ.. وليلةٌ آرِزة: بارِدةٌ وَيومٌ أريزٌ: شديدُ البردِ، والأريز: الصقيعُ.

وسُئِلَ أعرابيٌّ عن ثوبين لهُ فقال: إنْ وجدتُ الأريزَ لبستُهما، والأريزُ: شبْهُ الثَّلج يقعُ بالأرضِ، وفي نوادِر الأعراب: رأيتُ أريزتهُ ترعدُ: أي نفسُه». (٢)

ومَنْ خلال ما سبق فلا أرى في الكلمةِ مجازًا، فهي مستعملةٌ في معناها الحقيقي، حيثُ إنَّ معنى قولِ الشاعر:

*** وقد أرِزتْ من بردِهِنَّ الأناملُ ***

أي: تقبَّضت وتضامَّت وتجمعت أطرافُ أصابعه من شدة البردِ.

وتَقبُّضُ الأصابع وعدمُ انبساطها من شدةِ البردِ أمرٌ طبعيٌّ معهودٌ لا تجوُّز فيه، وهو معنى مستفادٌ من حاق لفظِ «أرز» كما بين ذلك علماءُ اللغة.

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ٩.

(٢) لسان العرب: أرز.

ويُؤيِّدُ الحقيقة أنَّ الأَريزَ هو الصقيعُ أو شبهُ الثلج يقعُ على الأرضِ، ورعدت أريزتهُ أي: ارتفع نفسُه وانقبضَ من شدة البرودة.

ومن ثم فالأسلوبُ حقيقيٌ لا تجوُّزَ فيه.

*** الشاهدُ الثاني والثلاثون:**

قال الإمامُ في مادة «أرى» بعد أن ذكر أن من معاني هذه الكلمة «الأرى» العسل أو عمل النحل» قال:

ومن المجاز: تسميةُ المطرِ: أرى الجنوب في قول زهيرٍ:

يَشِمْنَ بروقَهُ ويَرُشُّ أَرْىَ الـ ... ـجنوب على حواجبها العماءُ (١)

فكأن الشيخ هنا جعل المعنى الأصليَّ لِلْأرىِ: العسلَ، شُبِّه به المطرُ أو الندى الذي يتساقطُ على أوراق الشجر «حواجبها»، يسقطه السحاب «العماءُ» بجامع الحلاوة وعموم النفع وشدة الالتصاق والبياض في كل ثم استعير لفظُ «الأرى» لهذا المعنى على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

غير أنه بالبحث في كتب اللغة يتبين لنا عدم قصر علماء اللغة لمعنى «الأرى» في أصل وضعه على «العسل» بل يَدُلُّ عليه وعلى المطر والندى وغيره على حدٍ سواء، ومن ثم

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ١٠ والبيت في ديوان زهير بن أبي سلمى: ٨ تحقيق: كرم البستاني – دار صادر – بيروت.

ومعنى: يشِمْن: أي ينظُرْنَ والضميرُ عائدٌ للنَّعاج، والرَّشُّ: المطرُ القليلُ، وهو كذلك أولُ المطر، وأرى الجنوب: ما استدَّرَّتْهُ الجنوب – أي ريحُ الجنوب – من الغمام إذا مطرت، والمقصودُ بحواجبها: أوراقُ الشجر وسيقانه، والعماءُ: هو السحابُ المرتفع الكثيف.

[اللسان: وشم، رشش، أرى].

يكون حقيقة في المطر لا مجازًا.

فقد ذكر أهلُ اللغة أنَّ مادة «أَرَىَ» تدور حول الحبس والالتصاق والالتزاق ومن معانيها العسل، ويسمى الندى أو المطر الذي تسوقُه الريحُ حين تحمل السحاب فتهطل الأمطار يسمى «أريًا» فيقال لهُ: «أَرْىُ الجنوب».

وهو ما استدَرَّتْهُ الجنوب من الغمام إذا مطرتْ، وأرىُ السحاب: دِرَّتُه، وأرىُ الندى: ما وقع منه على الشجر والعشب فالتزق وكثرُ، قال الليثُ في تفسير «أَرى الجنوب» الواردة في قول زهير السابق: أرادَ ما وقع من النَدَى والطل على الشجرِ والعُشْبِ، فلم يزل يَلْزَقُ بعضُه ببعضٍ ويكثرُ. (١)

وعلى هذا فلا تجوَّزَ في البيت، فالأرْىُ مستعملٌ في معناه الحقيقي وهو المطر أو الندى والطل الملتزق بأوراقِ الشجر.

*** الشاهدُ الثالث والثلاثون:-**

قال الإمامُ الزمخشريُّ: «في مادة أزر»

«شدَّ به أزره، ومعه من يُؤامره ويُؤازِرهُ، وأردتُ كذا فآزَني عليه فلانٌ إذا ظاهرك وعاونك وإنهُ لحسَنُ الإزرة.. ومن المجازِ: الزرعُ يُؤازِرُ بعضُه بعضًا إذا تلاحق والتفَّ، وتأزَّر النبتُ تأزُّرًا، وأنشد ثعلب:

تأزَّر فيه النبتُ حتى تخايلت ... رُباهُ وحتى ما تُرى الشاءُ نُوَّمًا (٢)

فالشاعِرُ هُنا يصِفُ نبتًا تآزر وتلاحق والتفَّ وتضام بعضُه إلى بعضٍ حتى قوى

---

(١) لسان العرب: أرى.

(٢) أساس البلاغة: ١/ ١٠.

ومن ثَمَّ تخايلت رُباهُ وصار مرعىً خصبًا للأنعام.

وكأنَّ الإمامَ الزمخشريَّ قصر التآزُّ بمعنى المساندة والتقوية كما في قول الله (عَزَّ وَجَلَّ) على لسان سيدنا موسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾﴾ (١)

فالأزرُ هنا كما يقولُ المفسرون هو الظهرُ والقوة ومعناهُ تقوى به نفسي، وقيل العوْنُ أي يكون عونًا يستقيمُ به أمري. (٢)

- كأنَّ الإمامَ الزمخشريَّ (رَحِمَهُ اللَّهُ) تعالى قصر التآزر بهذا المعنى على المساندة والتقوية فيما بين الإنسان وأخيهِ الإنسان، فإذا انتقلنا إلى عالم النبات فإنَّ المؤازرة حينئذٍ تكون مجازًا.

والحقيقةُ أنَّ المؤازرة معاونةٌ وتقويةٌ ومساندة مطلقة دون تخصيص بالإنسان أو النبات كما تقول كتب اللغة، ففي لسان العرب: « أَزَّ بالشيءِ: أحاط... يقال: أزرَهُ وآزَهُ: أعانهُ وأسعدهُ، من الأزر: القوة والشدة.. وآزرتُ الرجُلَ على فلان: إذا أعنته عليه وقوَّيتُهُ وقوله تعالى: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ﴾ (٣) أي فآزر الصِغارُ الكبار حتى استوي بعضُه مع بعض.. وأَزَّ الزرعُ وتأزَّ: قوَّى بعضُه بعضًا فالتف وتلاحق واشتد قال الشاعر:

تأزَّر فيه النبتُ حتى تخايلت ... رُباهُ وحتى ما تُرى الشاءُ نُوَّمًا (٤)

---

(١) الآيات: ٢٩، ٣٠، ٣١ من سورة طه.

(٢) تفسير القرطبي ١١/ ١٩٣ دار الكتب المصرية القاهرة ط ثانية ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.

(٣) من الآية: ٢٩ من سورة الفتح.

(٤) لسان العرب: أزر.

ومن ثم فلا فرق بين دلالة تلك الكلمة «المؤازرة» فيما بين الإنسان أو النبات فهي حقيقة في الدلالتين هذا من حيث النظرُ إلى مطلق دلالة الكلمة.

أما من حيث النظر إلى ارتباط دلالة هذه الكلمة. بمعنى التقوية والتلاحق والالتفاف مع النبات فإنها كذلك لا مانع من كون هذه الدلالة حقيقة، إذ لا نقل فيها مع تحقق هذا المعنى حقيقة في جانب النبات «حين يخرج شطأه أي فراخَهُ الصغار فتُؤازِرُ الكبار، أي يُقوِّي الشطءُ أصله» (١)

ومن ثم فالأسلوب حقيقيٌ لا تجوَّز فيه وتأزُّ النبت بمعنى تقوية بعضه لبعضٍ حتى يشتد ويلتف ويتلاحق، وهذه المساندةُ حقيقةٌ لما يحدث لها من أثرٍ في استواء الزرع على سوقه واشتداده وتخايُل رُباه.

*** الشاهِدان: الرابع والثلاثون والخامس والثلاثون:**

قال الإمامُ الزمخشريُّ في مادة «أ ش ب»:

«غَيْضةٌ أَشِبَةٌ. والأشَبُ: شدَّةُ التفاف الشجر حتى لا مجاز فيه.. ومن المجاز: عددٌ أشبٌ مختلِطٌ.. وتأشَّبُوا وأَتْشبُوا: تجمَّعُوا من هنا وهناك. وجمعٌ مُؤْتَشِبٌ ومُؤْتشَبٌ: غيرُ صريح قال:

*** رجْراجةٌ لم تكُ مما يُؤتَشبُ ***

وعندهُ أُشابةٌ من الناس وأُشابةٌ من المال، تخاليطُ من حرام وحلال، وهُمْ أُشاباتٌ وأشائبُ. قال النابغة:

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٦/ ٢٨ للشيخ الطاهر بن عاشور – الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤.

وثِقتُ لهم بالنصر إذ قيل قد غزتْ ... قبائلُ من غسَّان غيرُ أشائبِ» [(١)]

فقد بين الإمامُ الزمخشريُّ أنَّ المعنى الأصليَّ للتأشُّب تداخُل الشجر والغيضة وشدة التفافها حتى لا تجد فيها مسلكًا يمكن اجتيازُه.

فإذا استُعْملت تلك المادةُ «أشِبَ» في غير هذا الموضع كالمال أو كنسب الإنسان، فإنها تعني الاختلاط والتداخل كذلك ولكنها حينئذٍ تكون من قبيل المجاز.

غير أنهُ عند التحقيق نجدُ أن علماء اللغة بينوا أن تلك المادة «أشب» تعني مطلق الاختلاط والتداخل والتجمع من هنا وهناك دون تقييد بنباتٍ أو مالٍ أو إنسان.

قال في لسان العرب:

«الأُشابة من الناسِ: الأخلاط، والجمعُ: الأشائبُ».

قال النابغة الذبياني:

وثِقتُ لهم بالنصرِ إذ قيل قد غزت ... قبائلُ من غسان غيرُ أشائب

يقولُ: وثقتُ للمدوح بالنصرِ؛ لأنَّ كتائبهُ وجنوده من غسَّان وهم قومه وبنو عمه، وقد فسرَّ القبائلَ في بيتٍ بعده وهو:

بنو عمِّه دُنيا وعمروُ بنُ عامر ... أولئك قومٌ بأْسُهُم غِيرُ كاذبِ

ويُقال: بها أو شابٌ من الناس وهم الضروبُ المتفرقون، والأُشابةُ في الكسب: ماَ خالطهُ الحرامُ الذي لا خير فيه، والسُحتُ، ورجُلٌ مأشوبُ الحسبِ غيرُ محضٍ، وهو مُؤْتَشِبٌ: أي: مخلوطٌ غيرُ صريح في نسبه.

والتأشُّبُ: التجمُّعُ من هُنا وهُنا يُقال: هؤلاءِ أَشابةٌ ليسوا في مكانٍ واحدٍ». [(٢)]

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ١٣. والبيتُ في ديوان النابغة الذبياني: ٤٢.

(٢) اللسان: أشب.

وبناءً على ما سبق فلا يمكن قصر دلالة «أشب» الحقيقية على اختلاط النبات والشجر والتفافه وتداخله، وجعل هذا المعنى في جانب المال أو الإنسان مجازًا.

فالشاهِدُ الأولُ الذي معنا الذي يقولُ فيه الشاعِرُ:

*** رجراجةٌ لم تكُ مِمَّا يُؤْتَشَب ***

وهو يعني بقوله: رَجْراجةٌ: كتيبةٌ رجراجة وهي التي تمخّضُ في سيرها ولا تكادُ تسيرُ لكثرتها، فهي تموجُ من كثرتها. (١)

كأنه هنا يصف كتيبةً أو جيشًا بضخامته وأصالة جنوده، فهي كتيبةٌ من شدة عظمها وكثرتها تموجُ ولا تكادُ تسيرُ، ثم هي فوق ذلك من خيار الفرسان، ليسوا أخلاطًا أو ضروبًا متفرقةً من هنا وهناك «لم تكُ مما يُؤتشَبُ»، بل هم صرحاءُ في أنسابهم غيرُ خلطاءٍ أو دُخلاء.

ومن ثم فالتعبيرُ هنا حقيقيٌ لا نقل فيه ولا تجوُّز فيه، بل إنه جُزءٌ من أصل الدلالة اللغوية لهذه الكلمة.

أما الشاهِدُ الثاني وهو قول النابغة:

وثقتُ لهم بالنصرِ إذ قيل قد غزت ... قبائلُ من غسان غيرُ أشائب

فقد كفانا صاحِبُ اللسان الحديث عنه حين ذكره صراحة في الاستدلال على معنى تلك الكلمة – كما سبق.

فالشاعِرُ وثق للمدوح بالنصرِ لأنَّ كتائبه من قبيلته وبني عمومته غسَّان فهم صرحاء النسب غيرُ أخلاطٍ أو دُخلاء «غيرُ أشائبِ» ولذلك كانت أصالةُ الفرسان

---

(١) اللسان: رجج.

والجنود سببًا في وثوق الشاعر من النصر المبين.

ومن ثم فالمعنى هنا كذلك حقيقيٌّ لا تجوز فيه.

*** الشاهِدُ السادس والثلاثون:**

بيَّن الإمامُ الزمخشريُّ في مادة «أ ط ر» أن الإطار والأَطْرَ يستعمل مع القوس ومعناه العطف والتثني ثم قال:

«وتأطرت المرأةُ: تثنَّتْ في مشيتها.. وقصَّ شاربكَ حتى يبدو الإطار وهو ما أحاط بالشفة وكُلُّ محيطٍ بالشيء فهو إطارُه كإطار الدُف وإطار المُنخُل.

ومن المجاز: أطَرْتُ فلانًا على مودتكَ، وبنو فلانٍ إطارٌ لبني فلانٍ: إذا حلُّوا حوْلهم. قال بشرٌ:

وحلَّ الحيُّ حيُّ بني نُميرٍ ... قُراضبة ونحنُ لهم إطارُ (١)

والقُراضِبةُ: موضعٌ أو هو وصفٌ لهؤلاءِ الحيّ بأنهم: الصعاليك واللصوص والفقراء وأنهم كثيروا الأكل لا يدعُ أحدُهم شيئًا إلا أكله لشدة نهمه. (٢)

وحينما نعيد قراءة كلام الإمامِ الزمخشريِّ نفسه نجِدُه يوسع المفهوم الحقيقي للإطار حين يقول: «وكُلُّ محيطٍ بالشيءِ فهو إطاره».

ومن ثم فإنَّ حيَّ بن نميرٍ أو بني سبيع – كما في رواية اللسان – حلُوا وسط قوم الشاعر فأحاط بهم الشاعِرُ وقومه «ونحنُ لهم إطارُ».

فلو أن كلمة «إطار» لا تفيد معنى الإحاطة لكان الكلامُ على التشبيه البليغ أي

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ١٥ والبيت في ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي: ٦١.

(٢) اللسان: قرضب.

ونحن لهم كالإطار ومن ثم تبعدُ عن المجاز.

ولكن الدلالة اللغوية لكلمة «إطار» تفيد معنى الإحاطة – كما سبق – وهي إحاطةٌ مطلقةٌ قال ابن منظور:

«والإطارُ: الحلقةُ من الناس؛ لإحاطتهم بما حلَّقُوا به قال بشرُ ابنُ أبي خازم:

وحلَّ الحيُّ حيُّ بني سُبيْعٍ ... قُراضبةً ونحنُ لهم إطارُ

أي: ونحنُ مُحدِقون بهم، وكُلُّ ما أحاط بشيٍ فهو له إطارُ »[1] ، ومن ثم فالمعنى حقيقيٌّ لا تجوُّز فيه.

*** الشاهِدُ السابع والثلاثون:**

قال الإمامُ الزمخشريُّ: في مادة «أ ط ط»

«لا آتيكَ ما أطَّتِ الإبلُ أي: حَنَّتْ. وشجاني أطيطُ الركاب،.... ومن المجاز: أطَّتْ بكَ الرحِمُ أي: رقَّتْ وحنَّتْ وقال الأغلَبُ:

قد عرفتْني سرحتي وأطَّتِ .... وقد شمَطْتُ بعدها واشْمَطَّتِ [2]

والسَّرْحةُ: المالُ السائم يُسامُ في المرعى من الأنعام، وشمطَ الشيءَ: خلطه.. والشُمطوطُ: الأحمق. [3]

يقول الشاعر: قد حَنَّت سرحتي إلى صوتي وأطت حين سمعت شعري لإلفها لسماعه، وقد اعتراني الشيبُ بعدها فاختلط سوادُ شعري ببياضه كما صارت هي الأخرى

(١) اللسان: أطر.

(٢) أساس البلاغة: ١/ ١٥.

(٣) لسان العرب: سرح وشمط.

بازلًا من مرور الزمن وتعاقب الأيام.

فالشاعِرُ هنا يحنُّ إلى هذا الماضي كما أن الماشية من الإبل والأغنام تحِنُّ هي الأخرى إلى صوت الشاعر.

فاستعمالُ الأطيط في معنى حنين الإبل أو السرحة استعمالٌ حقيقيٌّ وارِدٌ على الأصل وقد ذكر صاحبُ اللسان قوله:

والأطيطُ: نقيضُ صوت المحامل والرحال إذا ثقُل عليها الرُكبانُ، وقد يكون الأطيطُ في غير الإبل ومنه حديث: «ليأتينَّ على باب الجنة زمانٌ يكونُ له فيه أطيط» أي صوتٌ بالزحام. والأطيط: صوتٌ تمدُّدِ النسع وأشباهه.. والأطيطُ: صوتُ الأقتاب.. وكذلك كُلُّ شيءٍ أشبه صوتَ الرحل الجديد، وأطيطُ الإبل: صوتُها، وأطتِ الإبلُ تئطُّ أطيطًا أنَّتْ تعبًا وحنينًا أو زُمةً».[1]

ويمكن أن نلحظ في كلام العلامة ابن منظور أن الأطيط يستعملُ في أصل وضعه مع صوت الإبل والسرحة ومتعلقاتها من أقتابٍ ونسع وأشباهه.

ولذلك قال بعد ذكر هذا المعنى الأصلي: «وقد يكونُ الأطيطُ في غير الإبل» واستشهد بحديث أطيط باب الجنة، وأطيط السماء .

وأكد هذا المعنى ثانية حين قال كما سبق: «وكذلك كُلُّ شيءٍ أشبه صوت الرحل الجديد».

فكأنَّ استعماله مع الرحل وأدواته أو مع السرحة هو الأصل، وما عداهُ مشبهٌ بهذا الأصل، ومن ثم فالتعبيرُ هنا في قول الشاعر: قد عرفتني سرحتي وأطَّت. بمعنى حنت إلى صوتي تعبيرٌ حقيقيٌ لا تجوز فيه.

---

(١) اللسان: أطط.

*** الشاهِدُ الثامن والثلاثون:**

بيَّنَ الإمامُ الزمخشريُّ في مادة «أ ك ل» معنى الأكل وأنه ما يُؤكل ثم ذكر من المعاني المجازية لهذه المادة قولهُ:

«تأكَّل السيفُ: توهَّج من شدة البريق، وكذلك تأكُّلُ الإِثْمِدِ والفِضةِ المذابة ونحوها مما له بصيص. قال أوسٌ:

إذا سُلَّ مَنْ جَفْنٍ تأكَّل أَثْرُهُ ... على مِثلِ مِصحاةِ الُلجَيْنِ تأكُّلًا» (١)

فالإمامُ الزمخشريُّ يجعلُ الشاعِرَ هُنا كأنَّهُ استعمل التأكُّلَ مع السيف مجازًا عن شدة البريق واللمعان والتوهُّج.

فهو يصِفُ سيفًا إذا أُخرج من غمده بشدة بريقه ولمعانه وصفاءِ ديباجته ورونقه بريقًا شديدًا متوهِّجًا يُشبِهُ توهُّج الفضةِ المذابة وبصيصها.

ونلحظ أنه لا مجاز في استعمال تأكُّلِ أثرِ السيف بهذا المعنى «شدة البريق واللمعان والتوهج» قال ابنُ منظور:

«التأكُّلُ: شدةُ بريق الكُحل إذا كُسِرَ أو الصبير أو الفضة والسيف والبرق، قال أوسٌ بنُ حَجر:

*** على مثل مسحاة الُلجَيْن تأكُّلًا ***

وتأكّلَ السيفُ تأكُّلًا إذا ما تَوهَّجَ من الحِدَّة وتلأْلَأَ» (٢)

فاستعمالُ التأكُّل بهذا المعنى مع كُلٍّ من الكُحل أو الصبير أو الفضةِ أو السيف أو البرق استعمالٌ حقيقيٌّ لا تجوُّز فيه.

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ١٧.

(٢) لسان العرب: أكل.

*** الشاهدُ التاسع والثلاثون:**

ذكرهُ الإمامُ الزمخشريُّ في مادة «أ ن ف» قال:

«نفَّسْتُ عن أنفيه أيَ: مَنْخَرِيْ ... وامرأةٌ أَنوفٌ: طيبةُ الأنف، ومن المشتق منه: فيهم أَنَفَةٌ ثم قال: ومن المجاز: هو أنفُ قومه، وهم أنفُ الناس قال الحُطيئةُ:

*** قومٌ هُمُ الأنفُ والأَذنابُ غيرُهُمُ *»** (١)

فقد جعل الأنف هُنا غير مستعملٍ في معناه الحقيقي فهو مجازٌ عن الرفعة والتقدم.

والحقيقةُ أنَّ الأنفَ هو أداةُ الشمّ والتنفس المعروفة بالمَنْخر قال ابن منظور:

«الأنفُ: المنخَرُ معروفٌ.. وأنفُ كل شيءٍ طَرَفُه وأولُه، والأَنفُ: السيِّدُ.. وإذا نسبوا إلى بني أنف الناقة وهم بطنٌ من بني سعد بن زيد مناة قالوا: فلانٌ الأَنفِيُّ؛ سُمُّوا أنفيِّين لقول الحُطيئة فيهم:

قومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرهُمُ ... ومن يُسوِّي بأنف الناقةِ الذَّنَبَا؟

والأذنابُ: الأتباعُ جمعُ ذَنَبٍ يقال: جاء فلانٌ بذنبه: أي بأتباعه؛ كأنهم في مقابل الرءوس وهم المقدَّمون.. وهم يفتخرون بقول الحطيئة..» (٢)

وهكذا نرى أن من معاني الأنف: السيد والأول، فكأنه يقولُ هُمُ الأسيادُ المقدمون وغيرهم الأتباعُ.

وقد يُحْمَلُ البيتُ على التشبيه البليغ وهو الذي حذف منه الوجهُ والأداة، أي هؤلاءِ القومُ كالأنف في الناس، فهم في الناسِ كالأنف من الجسد، ووجهُ الشبه هو الرفعةُ وعُلُوُّ

---

(١) أساس البلاغة: ١/ ٢٢ والبيت في ديوان الحطيئة: ١٢٨، ١٣٣.

(٢) لسان العرب: أنف.

المنزلةِ والمكانة في كل منهما.

فالتعبيرُ حقيقيٌّ لا تجوُّزَ فيه قائمٌ على التشبيه البليغ، بدليل ذكر الطرفين.

والأنفُ هو المقدمُ والأولُ في كل شيءٍ، ولذلك بعد أن كان هذا اللقبُ «بنو أنف الناقة» مسبةً لهم، صار مفخرة لهم بعد هذا البيت الذي مدحهم به الحُطيئةُ.

وقيل في النسبة لهم: فلانٌ الأَنفِيُّ وقيل لهم: الأنفيُّونَ لهذا البيت.

وفي هذا التشبيه إشعارٌ بأنفةٍ هؤلاءِ القوم وعُلُوِّ كعبهم وتقدُمهم على غيرهم وأنهم الرءوسُ، ولذلك ورد البيتُ في بعض روايات اللسان: قومٌ همُ الرأسُ.... (١)

وهُمُ الوجوهُ والسادات، فضلًا عن تأنُّفهم وشرفهم وترفُّعهم عن الدنايا وسفاسف الأمور وّحمِيَّتهم من الغيرة والغضب.

*** الشاهِدُ الأربعون:**

قال الإمامُ الزمخشريُّ في مادة «أ و د».

«آدهُ الحِملُ أي: أثقلَهُ... ومن المجاز: آدني هذا الأمرُ: بلغ مني المجهود والمشقة. وآد الفيءُ: انثنى ورجع، وآد العشيُّ، قال المرُقِّش:

والعدْوَ بين المجلسينِ إذا ... آدَ العشِيُّ وتنادى العم (٢)

فقد جعل الإمامُ الزمخشريُّ «آد» بمعنى انثنى ورجع مستعملةً مع العشي وهو زمانٌ على سبيل المجاز.

---

(١) اللسان: أنف.

(٢) أساس البلاغة: ١/ ٢٤ والبيت في ديوان المُرقَّشين: ٧٢ تحقيق: كارين صادر – دار صادر – بيروت – ط أولى ١٩٩٨م.

وبالنظر في كتب اللغة يتبين لنا أن استعمالَ هذه الكلمة مع العشي حقيقةٌ لا تجوز فيها، قال في اللسان:

«آدهُ الأمرُ أَوْدًا وأُوُودًا: بلغ منه المجهود والمشقة، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾[1] قال أهلُ التفسير وأهلُ اللغة معًا: معناهُ: ولا يُكرِثُه ولا يُثقلُهُ ولا يشُقُّ عليه... والأودُ: العِوجُ. والتأوُّدُ: الثَّنيَّ. ويقال: آدَ النهارُ يَؤُوَد أوْدًا: إذا رجع في العشيِّ، وآد العشيُّ: إذا مال وآد الشيءُ أودًا: رجع قال ساعِدةُ بنُ العجلان يصِفُ أنه لقى رُجلًا من خصومه ففر منه واستتر في موضعٍ نهارَهُ إلى قريبٍ من آخِره ثم أسرع في الفرار:

أقمت بها نهار الصيفِ حتى ... رأيتَ ظِلالَ آخِره تَؤُودُ

أي ترجعُ وتميلُ إلى ناحية المشرق.

وقال المرقِّش:

والعدْوَ بين المجلسين إذا ... آدَ العشِيُّ وتنادى العم

وعلى هذا فالمراد بـ: «آد العشِيُّ» رجع ومال، فليس التأوُّدُ مقصورًا على التثني الحسي للأشياء المادية، بل يشمله ويشمل كذلك الرجوع للزمان أو للشيء المعنوي كالنهار والعشي – كما ذكر صاحِبُ اللسان. ومن ثم فالأسلوب حقيقيٌّ لا تجوُّر فيه.

(١) من آية الكرسي وهي الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

الخاتمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الخلق وإمام المرسلين، سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعدُ،،،،

فقد عِشنا رحلةً قصيرة مع أربعين شاهِدًا شِعريًا للمجاز ذكرها الإمامُ الزمخشريُّ (رحمه الله) في معجمه أساس البلاغة – حرف الهمزة وقد تناولتها بتحديد موطن المجاز وشرحه وبيان نوعه، وربما يكون كناية أو حقيقة فبينتُ كل ذلك في فصلٍ خاصٍ.

وقد أسفرت هذه الدراسةُ عن النتائج الآتية:

* **أولًا**: ليس كُلُّ ما ذكر الإمامُ أنه من المجاز يكون مجازًا فربما يكون كنايةً أو حقيقة، ولا يعني ذلك تخطئة الإمام أو اتهامه بالخلط بين الحقيقة والمجاز، وإنما مردُّ ذلك لتطورِ اللغة فما كان عندهم مجازًا، قد يصير بعد ذلك حقيقة، ولأن القواعد البلاغية لم تكن قد استقرت بعدُ بالتفصيل والتقنين الذي عُرف عند الخطيب ومن جاءوا بعده.

* **ثانيًا**: أسهمت هذه الدراسة في بيان وتحليل وشرح مواطن المجاز أو الحقيقة من خلال ثروة شعرية رائعةٍ، اختيرت بدقة وعناية لفحول الشعراء والمفلقين منهم انتخبها الإمامُ الزمخشريُّ في معجمه، وقد استقصيتُ كل هذه الشواهد الشعرية التي ذكر الإمامُ أنها من المجاز، وقمت بتحليلها وشرحها وبيان معانيها وموطن الاستشهاد فيها وإجراء الاستعارة أو غيرها من الكناية وبيان الحقيقة من المجاز لتكون بذلك نواة لإنشاء موسوعة علمية شاملة نتناول فيها باقي حروف المعجم على نفس المنهج لينتفع بها طلاب

العلم في كل زمانٍ ومكان.

* **ثالثًا**: يفتحُ هذا البحثُ ميدانًا رحبًا لسبعةٍ وعشرين بحثًا – حسب ترتيب حروف المعجم باستثناء هذا البحث الذي عُني بحرف الهمزة – يمكن للباحث المتخصص في مجال البلاغة أن يقوم ببعضها بالتنسيق معي حتى لا تتكرر البحوث.

والمهم أن يجد في نفسه طاقة لإنجاز هذا العمل أو ما تيسر منه، ويمكنه أن يسير على نفس المنهج الذي وضعناه، أو يضيف ما هو جديد، وربما يصادف في ثنايا المعجم ما يفتح له أبوابًا أخرى متعددة للبحث والتنقيب وتغيير المنهج أو غير ذلك، طالما أنه يسيرُ في هذا الدرب بصدقٍ وثقةٍ وإخلاصٍ ويقين.

* **رابعًا**: البحثُ في هذا الميدان لا أُنكِرُ صعوبتَهُ ووعورة طريقه، لأن الباحث يُفلي فيه نفسه، وَيُعْمِلُ عقله، ليصل إلى مراد الإمامِ الزمخشريِّ – (رحمه الله) تعالى – غير أنه يُصقِلُ الدارس، وينمي ثروته اللغوية ومقدرته على التحليل البلاغي لعيون الشعر العربي المختارة بعقل الإمام، ومن ثم يشعر بقيمةِ العمل الذي يقوم به.

وصلّ الله وسلم وبارك على سيدنا محمد

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين

دكتور

تامر محمد حجازي

مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية

بإيتاي البارود

فهرس الشواهد الشعرية

الأبيات	الشاعر	الشاهد	الصفحة
«قافية الهمزة»			
- يَشِمْنَ بروقًا ويَرُشُّ أرْىَ الـ ... ـجنوب على حواجبها العماءُ	زهير	حقيقة	١٣٤١
«قافية الباء»			
- وثِقْتُ لهم بالنصرِ إذ قيل قد غزت ... قبائلُ من غسان غيرُ أشائب	النابغة الذبياني	حقيقة	١٣٤٥
- رجْراحةٌ لم تكُ مما يُؤتَشَبُ	النابغة الذبياني	حقيقة	١٣٤٤
- ومُقامِهِّ إذا حُبِسْنَ بِمَأْزِم ... ضَيْق أَلفَّ وصَدَّهُنَّ الأَخْشَبُ	ساعدة	استعارة تصريحية	١٣٠٠
- قومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرهُمُ ... ومن يُسوِّي بأنف الناقةِ الذَّنَبَا	الحُطيئة	حقيقة	١٣٥١
«قافيةُ التاء»			
- قد عرفتْني سرحتي وأطَّتِ ... وقد شمَطْتُ بعدها واشْمَطَّتِ	الأغلب	حقيقة	١٣٤٨
«قافية الدال»			
- أيامَ سلمى غريرةٌ أُنُفٌ ... كأنها خوطُ بانةٍ رُؤْدُ	طُريح الثقفيّ	استعارة تمثيلية	١٣٥٦

الأبيات	الشاعر	الشاهد	الصفحة
- تُزجي لَغَّ كأنَّ إبرةَ روْقه ... قلمٌ أصاب من الدواةِ مِدَادَها	عديُّ بنُ الرِقاع	استعارة تصريحية	١٢٩٥
رأيتُكِ للزوَّارِ كالشربِ الذي إذا عطِشُوا يومًا فمن شاءَ أوردا جُذاميَّةٌ آدت لها عجوةُ القُرى وتخلِطُ بالمأقوطِ حِيْساً مُجَعَّدًا	ـ	ـ كناية	١٣٢٧
- إِزاءُ معاشٍ ما تَحُلُّ إزارَها ... من الكيس فيها سوْرةٌ وهي قاعِدُ	ـــــ	استعارة تمثيلية	١٣١٥
- لا تقْذِفَنِّي بِرُكنٍ لا كفاءَ لهُ ... وإن تَأَثَّفِكَ الأَعْداءُ بالرِّفَدِ	النابغة الذبياني	استعارة تمثيلية	١٣٥٧
- غَدَتْ بِرِعالٍ من قطا في حلوقه .. أَدَاوِيَ لِطافُ الطيِّ مُوثقةُ العقدِ	الراعي	استعارة تصريحية	١٢٩٩
- فباتوا حولنا حرسًا وباتت ... أَديمَ الليلِ لا يَعذِفْنَ عوُدًا	معقل بن عوف ابن سُبيع	حقيقة	١٣٣٧
«قافية الراء» - فقُلْتُ لها ألَّا تعريفني ... إذا شَدَّتْ مُحافظتي الإزارا	الفرزدق	كناية	١٣٢٤
- نُبِّئْتُ زُعةَ والسفاهةُ كاسمها ... يُهدى إليَّ أوابِدَ الأشعارِ	النابغة الذبياني	حقيقة	١٣٣٢

- لن تُدْكِوا كرمي بِلُؤْمِ أبيكَمُ ... وَأوابدي بتنحُّلِ الأشعارِ	الفرزدق	حقيقة	١٣٣٢
- وحلَّ الحيُّ حيُّ بني نُميرٍ ... قُراضبة ونحنُ لهم إطارُ	بِشْر	حقيقة	١٣٤٧
- ظَلَلْنا نحْبِطُ الظلْماءَ ظُهرًا ... لديه والمطِيُّ به أُوارُ	ـــــ	استعارة تصريحية	١٣٠٤
- وذلك من قولٍ أتاكَ أقولُه ... ومن دسِّ أعدائي إليك المآبِرَا	النابغة الذبياني	حقيقة	١٣٣٦
- أَعْقِلُ قتلِي العيصَ عيصَ شُواحِطٍ ... وذلك أمرٌ لا تُثَفَّي لهُ قِدْري	ـــــ	استعارة تمثيلية	١٣١٤
- والطيِّبُونَ معاقِد الأُزْرِ	خِرْنق	كناية	١٣٢٥
- شَدَّ على أمرِ الورود مِئْزَره	ـــــ	كناية	١٣٢٣
وبِتْنـــا بِقـــرْ واحِيـــةٍ لا ذَرا لهـــا من الريحِ إلَّا أن نلوذَ بكُور فلا الصبحُ يأتينا ولا الليلُ ينقضي ولا الريحُ مأذونٌ لها بسكور	-	حقيقة	١٣٣٨
«قافية العين» - ويحرمُ سِرُّ جارتهم عليهم ... ويأكُلُ جارُهُم أُنُفَ القِصاعِ	الحُطيئة	استعارة تمثيلية	١٣٥٨
- وكُنتُ مُثَفَّى ليتَ شِعري من الذي ... هو اليوم مفجوعُ ومن هو فاجِعُ	ـــــ	استعارة تصريحية	١٢٩٧

- إنَّ العروقَ إذا اسْتَسَرَّ بها الثَّري ... أشِرَ النباتُ بها وطاب المزرْعُ	نُصيبٌ الأصغر	استعارة مكنيّة	١٣٠٨
- وجاءَ كمثلِ الرَّأْلِ يتْبعُ أَنفَهُ ... لِخُفَّيهِ من وقعِ الصخور قعاقِعُ	ـــــ	كناية	١٣٢٦
- نكحتُ مُثفَّاة شهيرًا جَمالُها ... وَأعلمُ أنَّ الموتَ لابُدَّ واقِعُ	ـــــ	استعارة تصريحية	١٢٩٧
«قافية القاف» - فَإنْ كُنْتُ مأكُولًا فَكُنْ خيرَ آكل ... وإلَّا فأدرِكني ولَمَّا أُمَزَّقِ	المُمَزَّق	استعارة تصريحية	١٣٠٢
«قافية الكاف» - أَمْطِرْ علينا الغيث لا أبالكْ	المُمَزَّق	استعارة تمثيلية	١٣١٠
«قافية اللام» - وقد أكلت أظفَارَهُ الصخرُ كلما ... تعَنَّى عليه طولُ مرقىً توصَّلا	أوس بن حجر	مجاز عقلي	١٣٢١
- مُسْتَأسِدٌ ذِبَّانُهُ في غيْطل	أبو النجم	استعارة تصريحية	١٣٠١
- إذا سُلَّ مَنْ جَفْنٍ تأكَّل أَثْرُهُ ... على مِثلِ مِصحاةِ الُلجَيْنِ تأكُّلا	أوس بن حجر	حقيقة	١٣٥٠
- تَوهَّن فيه المضرحِيَّةُ بعدمَا ... مضَت فيه أُذْنا بلقعيٍّ وعاملِ	الطِّرِمَّاح	استعارة تصريحية	١٣٥٨

- وقَدْ أزَتْ مِنْ بَرْدَهِ الأنَامِلُ	ـــــ	حقيقة	١٣٤٠
«قافية الميم»			
جُذامُ سيوفُ اللهِ في كل موطنٍ إذا أزمتْ يوم اللقاءِ أزَامِ وإنْ قصرَّتْ يومًا أكُفُّ قبيلةٍ عن المجدِ نالتْهُ أكُفُّ جُذامِ	–	استعارة مكنية	١٣٠٦
- فَبانتْ ليلةً وأديمَ يومٍ ... على المنْهَى يُجَزَّ لها الثَّغَامُ	بِشْر	حقيقة	١٣٣٧
وخَلَّقْتُه حتى إذا أتمَّ واستوى كمُخَّةِ ساقٍ أو كمتْنِ إمامِ قرنْتُ بِحَقْويْهِ ثلاثًا فلم يزغْ عن القَصدِ حتى بُصِّرتْ بِدِمامِ	-	استعارة تصريحية	١٣٠٣
- والعدْوَ بين المجلسينِ إذا ... آدَ العشِيُّ وتنادى العم	المُرَقِّش	حقيقة	١٣٥٢
- تأزَّر فيه النبتُ حتى تخابلت ... رُباهُ وحتى ما تُرى الشاءُ نُوَّمًا	ـــــ	حقيقة	١٣٤٢

فهرس المصادر والمراجع

(١) الأخطاء الشائعة في استعمالات حروف الجر تأليف: محمود إسماعيل عمار – دار عالم الكتب ط أولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م الرياض المملكة العربية السعودية.

(٢) أساس البلاغة لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري – الهيئة العامة لقصور الثقافة – سلسلة الذخائر (٩٥) إصدار مايو ٢٠٠٣ تقديم أ . د / محمود فهمي حجازي.

(٣) الاعتذاريات بين النابغة الذبياني وعلي بن الجهم دراسة بلاغية تحليلية موازنة ماجستير – تامر محمد أحمد حجازي – كلية اللغة العربية بإيتاي البارود – جامعة الأزهر ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع تأليف: الخطيب القزويني تحقيق ودراسة الدكتور/ عبد القادر حسين – مكتبة الآداب ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .

(٥) بين المكنية والتبعية والمجاز العقلي – عرض وتحليل وموازنة د/ بسيوني عبد الفتاح فيود – مطبعة الحسين الإسلامية الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م

(٦) التحرير والتنوير للشيخ / الطاهر بن عاشور – الدار التونسية للنشر – ١٩٨٤ م .

(٧) الجامع لأحكام القرآن الكريم (تفسير القرطبي) للإمام القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب – المصرية – القاهرة – ط . ثانية ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م .

(٨) الحيوان للجاحظ – تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ط . ثانية ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٦ م

(٩) ديوان أبي النجم جمعة وشرحه وحققه الدكتور/ سجيع جبيلي دار صادر – بيروت –ط أولى ١٩٩٨م.

(١٠)ديوان أوس بن حجر تحقيق وشرح د/ محمد يوسف نجم – دار صادر – بيروت – ط ثالثة ١٩٧٩م

(١١)ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي قدم له وشرحه مجيد طراد – الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ط أولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

(١٢)ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني تحقيق: نعمان أمين طه شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

(١٣)ديوان الخرْنق بنت بدر بن زهفان أخت طرفة بن العبد رواية أبي عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤هـ شرحه وحققه وعلق عليه: يسري عبد الغني عبد الله دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط أولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

(١٤)ديوان الراعي النميري – جمعه وحققه: راينهرت فايبرت – بيروت – ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م.

(١٥)ديوان / زهير بن أبي سلمى – تحقيق / كرم البستاني – دار صادر – بيروت .

(١٦)ديوان الطِّرِمَّاح تحقيق د/ عزة حسن – دار الشرق العربي – بيروت – لبنان – ط ثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

(١٧)ديوان الفرزدق – تحقيق: كرم البستاني – دار صادر – بيروت.

(١٨)ديوان المُرَقِّشَيْن: الأكبر والأصغر تحقيق: كارين صادر – دار صادر – بيروت – ط أولى ١٩٩٨م

(١٩) ديوان النابغة الذبياني تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف ط ثالثة.

(٢٠) شعر طريح بن إسماعيل الثقفي دراسة وجمع وتحقيق د/ بدر أحمد ضيف – دار المعرفة الجامعية ١٩٨٧ م

(٢١) صحيح مسلم تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٢٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام الزمخشري شرح وضبط ومراجعة: يوسف الحمادي – مكتبة مصر.

(٢٣) لسان العرب لابن منظور ط دار الحديث – القاهرة ٢٠٠٣ م .

(٢٤) مباحث في طرق علم اللسان أ.د/ رفعت إسماعيل السوداني – اللوتس للطباعة ٢٠٠٦ م – ١٤٢٧هـ.

(٢٥) المعجم الكبير – إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة مطبعة دار الكتب ١٩٧٠ .

(٢٦) المعجم الوسيط – إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة إشراف د/ إبراهيم أنيس وآخرين ط ثانية.

(٢٧) مفتاح العلوم للسكاكي – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط ثانية ١٤١١هـ - ١٩٩٠ م .

فهرس الموضوعات

م	الموضـــوع	الصفحة
١	المقدمة	١٢٨٩
٢	خطة البحث	١٢٩٣
٣	**الفصل الأول**: شواهد الاستعارة	١٢٩٤
٤	**المبحث الأول**: الاستعارة التصريحية	١٢٩٥
٥	**المبحث الثاني**: الاستعارة المكنية	١٣٠٦
٦	**المبحث الثالث**: الاستعارة التمثيلية	١٣١٠
٧	**الفصل الثاني**: شواهد المجاز العقلي	١٣٢٠
٨	**الفصل الثالث**: شواهد الكناية	١٣٢٢
٩	**الفصل الرابع**: شواهد الحقيقة	١٣٣٠
١٠	**الخاتمة**	١٣٥٤
١١	**فهرس الشواهد الشعرية**	١٣٥٦
١٢	**فهرس المصادر والمراجع**	١٣٦١
١٣	**فهرس الموضوعات**	١٣٦٤

تم بحمد الله